المؤمنات الصالحات

والإيقاظ من المهلكات

للإمام تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي

تحقيق

أحمد المزيدي

الناشر

دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع

جدة - هاتف ٦٦٣١٤٠٣ فاكس ٦٦٥٧٥٢٩

الطبعة الأولى

٢٠٠٠

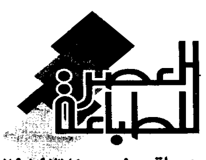
الناشر

دار ماجد عسيري

للنشر والتوزيع

جدة / هاتف: ٦٦٣١٤٠٣ ـ فاكس: ٦٦٥٧٥٢٩

مكتب القاهرة هاتف: ٠١٠١٤٦٢٤٧٠



هاتف: ٢٩٨٤٣٧٥

فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩

محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد .

وبعد . .

فبين يدي القاريء الكريم كتاباً جديداً من كتب التراث الإسلامي ، حوى درراً يانعة ، وذخائر نافعة.

قام بتصنيفه الإمام العلامة والحبرالفهامة تقي الدين الحصني الشافعي ، أراد به إعلاء الهمم ، وتحريض العزائم على تقوى الله وسلك سبيل المؤمنين فتضمن حكم وعظيه وأساليب تربوية وإرشادات ربانية ،

وخص به النساء فذكر المصطفيات من الصالحات ثم نبه على الأسباب المهلكات فحقاً أجاد المصنف فى كتابه هذا وأفاد وهو المسمى بالنساء والأمور المفسدات أو سير السالكات أو سير العابدات من السلف أو المؤمنات الصالحات والإيقاظ من المهلكات.

وأخيراً نسأل الله التوفيق والإخلاص وأن يتقبل منا أعمالنا فهو ولى ذلك والقادر عليه وصلى اللهم على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –

كتبه

أحمد فريد المزيدى

أبو سلافه

جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – شعبة الحديث



اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن ، الأمام العالم الربانى الزاهد الورع تقى الدين الحصنى ، الدمشقى ، الحسينى ولد فى أواخر سنة أثنتين وخمسين وسبعمائة.

نشأته ومؤلفاته :

قدم دمشق ، وتلقى العلم بها وبغيرها من بلاد المسلمين على يد شيوخ أجلاء منهم شرف الدين بن الشريشى ، الشيخ شهاب الزهرى ، والشيخ نجم الدين ابن الجابى والشيخ شمس الصرخدى ، والشيخ شرف الدين الغزى ، والشيخ بدر الدين بن مكتوم وغيرهم من علماء عصره.

وقد نبغ فى علوم الشريعة واللغة وألف كثيراً من التصانيف منها كفاية الأخيار وشرح التنبيه وشرح منهاج وشرح صحيح مسلم وتلخيص المهمات وتلخيص تخريج أحاديث أحياء علوم الدين وشرح الأربعين النووية ، وأهوال القبور ، وسير السالك [أتم الله لنا تحقيقه] ، وتنبيه السالك على مصار السالك ، وسير السالكات ، وتأديب القوم ، قمع النفوس، شرح أسماء الله الحسنى ، والقواعد الفقهية .. وغيرها.

وكان الشيخ – رحمه الله– خفيف الروح منبسطاً له نوادر كثيرة وكان يخرج مع الطلبة إلى المتنزهات ، ويبعثهم على الانبساط واللعب وذلك مع الدين والتحرز فى أقواله وأفعاله وتزوج عدة نساء ثم اعتزلهن فى أواخر



حياته واقبل على عبادة ربه عز وجل وانقطع عن اكثر الناس واعتكف على العلم حتى لقى ربه عز وجل.

وقد كان الشيخ أشعرياً منحرفاً عن الحنابلة يطلق لسانه فيهم ، وتفحش فى حق ابن تيمية وتجهر بتكفيره من غير احتشام بل كان يصرح بذلك فى الجوامع والمجامع بحيث تلقى ذلك عنه اتباعه ، واقتدوا به جرياً على عادة أهل زماننا فى تقليد من اعتقدوه إماماً مجتهداً.

وقد أطلق الشيخ لسانه – أيضاً – فى القضاة فسبهم واتهمهم بأخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى حزم وعزم وشدة وغيره على الإسلام.

والله أعلم

وفاته :

وقد توفى رحمه الله تعالى فى ليلة الأربعاء منتصف جمادى الثانية سنة تسع وعشرين وثمانمائة وحملت جنازته على أعناق الاكابر وكان يوماً عظيماً ما تخلف عنه أحد من أهل دمشق حتى الحنابلة مع شدة قيامه عليهم والتشنيع على ابن تيمية فيما خالف فيه الجمهور.

أنظر فى ترجمته الضوء اللامع (١١/ ٨١) ، شذرات الذهب (٧/ ١٨٨).



منهج التحقيق

تتلخص خطوات العمل فى خدمة هذا الكتاب فى الأتى :

أولاً : نسخ الكتاب ، وذلك بالاعتماد على نسختين خطيتين :

الأولى : وهى الأصـل ، وقـد رمز لها بالرمز (أ) ، وهى مأخوذة عن نسخة بخط المصنف ، كتبها الناسخ على الحموى.

وتقـع فى ٩٢ ورقـة ذات وجهـتين ، وهى مـن محفوظات دار الكتب المصرية حرسها الله تعالى.

وبأولهـا قطـع يسـير ، وهى تحت رقم ٢٧٦ تصوف طلعت ميكروفيلم ٦٥٦٨.

والـثانية : وهى الـتى تـم مقابلتها مع الأصل ، وإتمام النص وهى التى تسمى بالمؤمنات الصالحات والإيقاظ من المهلكات ورمزه (ش) والتنقص والسـقط منها ، وهى ذات خط جيد ومقرؤ ، ويقع عدد أوراقها ٨٢ ورقه ذات وجهتين ، وهى من محفوظات دار الكتب المصرية – أيضاً – تحت رقم ٤٢٤١ تصوف ، ميكروفيلم (٣٣٣٥٥) ، وبها نقص من الآخر.

وقد استعنت بكتاب صفوة الصفوة لضبط التراجم ورمزت له بـ (ع).

ثانيـاً المقابـلة والضـبط للـنص حتى يخرج خالياً من الأخطاء واضحاً صحيحاً، والله المستعان.

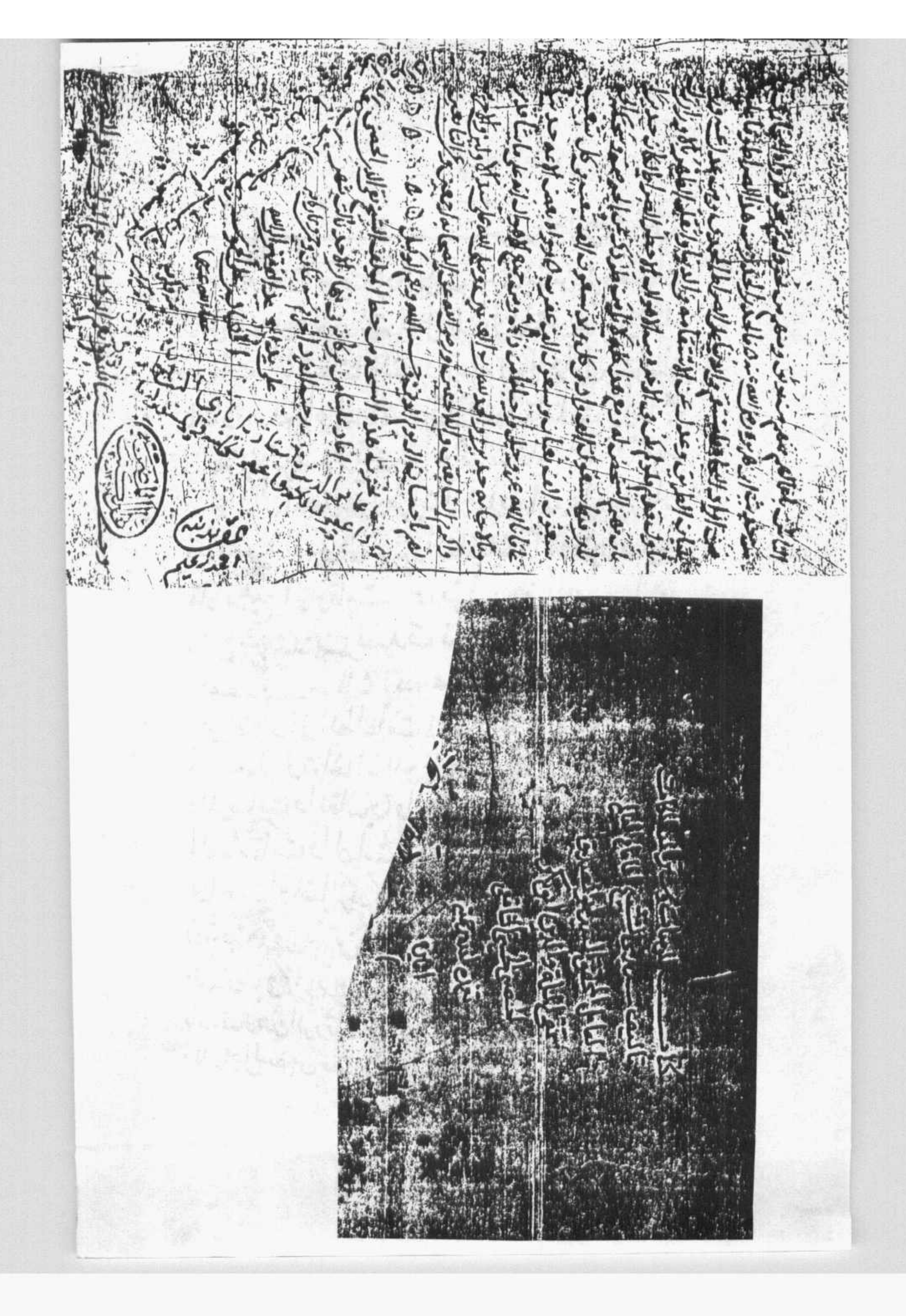
ثالثاً : ترقيم النص وتفصيله ، وتنسيقه حتى يكون واضحاً مافقاً لما جرت عليه الكتب الحديثة فى الطباعة.

رابعاً : عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

خامســـاً : تخـــريج الأحـــاديث النـــبوية من مصادرها مع الحكم عليها ما استطعت إليه سبيلا ملتزماً الاختصار والإيجاز.

سادســـاً : عمـــل مقدمـــة للكتاب تشمل على تعريف بالكتاب والمصنف ، وخطة العمل في الكتاب.

ســـابعاً : عمـــل فهـــرس لموضوعات الكتاب ، حتى يسهل على القارئ التعرف عليه.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الأرضين والسموات وبث فيهما من بدايع المصنوعات
وجعل في ذلك دليلا لوحدانيته فقبل ذلك أولياؤه من المؤمنين
والمؤمنات وشرع شرعا اختاره لنفسه وأرسل به رسله وأنزل به كتبه البينات
فانقاد له والعمل به أهل السعادة من القانتين والقانتات وحاد عن
اتباعه من خسر نفسه فوقع في الخسران المهلك والحسرات وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ذخيرة ليوم
الممات وأصلي على سيد السابقين واللاحقين صلوة
تعلو جميع المخلوقات ورضي الله عن الصحابة
وعمن تبعهم خلفهم بصدق لينيل الدرجات العاليات
وبعد فإن الله عز وجل لما علم بما خلق
أن الانقياد إلى الطاعات لم يخص الذكور بل قال
سبحانه وتعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين و
الصادقات والآيات في ذلك كثيرة وليس بخفيات
فلما سمعت أولو الفضل الزكية كلام حبيبهم سمت إلى الخلوة به في الظلمات
وتشعبت هممهن فمنهن من ركدت في خلوتها ومنهن من لم يسمها إلى الفلوات
وقد ذكرت في كتابي سير السالك جملة من الرجال ولم أذكر ما يتعلق بالبنات
فأردت في هذه الورقات أن أذكر جملة يسيرة من سير الصالحات ليعلم بذكر
ذلك كسل البعض من سمت همتهن التقي خلفهن فإن ذكر همم أهله منكم للترتيب

المؤمنات

الفتوحات لما [illegible] عثت على الخوارق بهت لمن يسمع مما يحقن به من الكرامات، وهاهنا
نكتة دقيقة ينبغي لطالبة هذا الشأن ان تتنبه لها وهي انها اذا سمعت بما فتح
على احد لعمن من الفتوحات الخارقات للعادات لعشقت نفسها الى ان يكون مثلها
فتشرع للتعبد تتعبد بهذا القصد وهو عين الحرمان والطرد لما ترك التعبد
لها لهذا الحب اليها فاذا تمكنت من هذه الآفة للرسنة وفتح عليها بحيث قال [illegible]
المتاكدة لها ان لا تعلم احدا فان الاعلام ايضا عين الحرمان وما لمخوفي مقام من
فتح عليها ان يحلو لها ذكر ذلك فيتحكم الشيطان منها فيفضل سعيها مع الاخرين
اعمالا وهي تظن انها تحسن صنعا وحينئذ تعود بتلك الساعة في رضى نفسها الامارة
وبرضى الشيطان وقد حادت عن سبيل الرحمان فلا حول ولا قوة الا بالله من هذه
العبادات المهلكات التي تؤدي الى الموت على غير الاسلام فانا نسأل الله
من ذلك ومن جميع اسباب المهالك ففي الحديث الصحيح انه عليه الصلاة والسلام
قال ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وهذه الرواية رواها مسلم في كتاب
الايمان ففي هذه الرواية اشارة الى ان الاعمال التي هي طاعة اذا شيبت بالرياء
يكون سببا للموت على غير الاسلام فنسأل الله الحليم العافية من اعمال تؤدي
بنا الى ذلك فان عملا يؤدي الى عذاب لا اخر له لمصيبة عظيمة والرياء سبب
ذلك وهو من البلاء العام الذي لا يكاد ينجو منه الا ذاك وذاك ولهذا قال





بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المصنف]

الحمد لله الذى خلق الأراضيين والسماوات وبثَّ فيها من بدائع المصنوعات، وجعل ذلك دليلاً لوحدانيته ، فقبل ذلك الألباء من المؤمنين والمؤمنات، وشرع شرعاً [اختاره] [١] لنفسه ، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه بالبينات، فانقاد له وللعمل به أهل السعادة من القانتين والقانتات ، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع فى الخسران المهلك والحسرات.
وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شـــريك له شهادة أعدها ذخيرة ليوم الممات.
وأصلى على سيد السابقين اللاحقين صلاة تملؤ جميع المخلوقات ، ورضى الله عنه الصحابة وعمن شمر خلفهم بصدق لنيل الدرجات العاليات، وبعد...فإن الله عزوجل لما خاطب الخلق بالانقياد إلى الطاعات لم يخص الذكور، بل قال سبحانه وتعالى: ﴿ **الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**

---

(١) ما بين [ ] سقط من (ش).

أعدّ اللّهُ لهُم مّغْفرةً وأجْرًا عظيمًا ﴾[الأحزاب : ٣٥] والآيات فى ذلك كثيرة وليست بالخفيات ، فلما سمعت الأنفس الزكية كلام حبيبهم سمت إلى الخلوة به فى الظلومات ، وتشبعت هممهن، فمنهم من ركزت فى خلوتها، ومنهن من لم يسعها إلا الفلوات وقد ذكرت فى كتابى « **سير السالك**» جملة من الرجال ولم أذكر ما يتعلق بالخيرات فأردت فى هذه الورقات أن أذكر جملة يسيرة من سير الصالحات لعل بذكر ذلك يحصل لبعض من سمعت أحوالهن خلفهن ، فإن ذكر أحوالهن لا شك ولا ريب من المشوقات وباعث على اللحوق بهن لمن يسمع مما تُحْفَزُ به من الكرامات وهاهنا نكته دقيقة ينبغى لطالبة هذا الشأن أن تتنبه لها ، وهى أنها إذا سمعت ما فتح على إحداهن من الفتوحات الخارقات للعادات تهش نفسها إلى أن تكون مثلها فتسرع للتعبد تتعبد بهذا القصد وهو عين الحرمان والطرد، بل ترك التعبد لها بهذا أحب إليها، فإذا سلمت من هذه الآفة المزمنة ، وفتح عليها بخير فالوصية المتأكدة لها أن لا تعلم أحداً فإن الإعلام أيضاً عين الحرمان وما أخوفنى على من فتح عليها أن يحلو لها ذكر ذلك فيتحكم الشيطان منها فيضل سعيها مع الأخسرين إعمالاً ، وهى تظن أنها تحسن صنعاً، وحينئذ فهى بذلك ساعية فى رضى نفسها الأمارة، ورضى الشيطان وقد حادت عن سبيل الرحمان فلا حول ولا قوة إلا بالله من هذه العبارات المهلكات التى تؤدى إلى الموت على غير دين الإسلام، عافانا الله عز وجل من ذلك ومن جميع أسباب المهالك ... أمين.

ففى الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب**

فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها))[١] وهذه الرواية ساقها مسلم فى كتاب الإيمان ففى هذه الرواية إشارة إلى أن الأعمال التى هى طاعة إذا (شيبت) بالرياء تكون سبباً للموت على غير الإسلام فنسأل الله الحليم العافية من أعمال تؤدى بنا إلى ذلك فإن عملاً يؤدى إلى عذاب لا آخر لـــه لمصيبة عظيمة، والرياء سبب ذلك وهو من البلاء العام الذى يكاد ينجو منه إلا ذاك وذاك ولهذا قال رسول الله ﷺ ((**إن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية**)) رواه ابن ماجة والحاكم وابن المبارك فى كتابه ((**الزهد**)) البيهقى فى ((**شعب الإيمان**)) وفى بعض الروايات ((**الشرك**)) بدل ((**الرياء**)) فقوله عليه الصلاة والسلام :"**أخوف**" صيغة تدل على أن الخوف من الرياء أعظم من غيره من المهلكات ، فينبغى أن تتنبه لذلك وهذا كما تقول المرأة: أخاف على ولدى كذا وكذا وأكبر خوفى عليه من كذا، ووجه شدة الخوف منه أنه خفى لا يكاد أحد يطلع عليه إلا من وفقه الله تعالى لأنه من قبل النفس الأمارة ، وهى الحاكمة والناصحة ومن ركن إلى حاكمة وناصحة وسلم [القياد] إليه كيف يهتدى ويطلع على ما هو أخفى من دبيب النمل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((**الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة**[٢] **الظلماء على الصخرة**)) وفى رواية ((**الرياء أخفى من دبيب النمل**)) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى وفى رواية ((**اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**)) ورواه ابن حبان والدار

---

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (٤٢٠٢) ، ومسلم (١/١٠٦) ، (١١٢).

(٢) فى (ش) [الظلمة] ، وكذا فى رواية.

قطنى وقد سماه رسول الله ﷺ شركاً ، قال الإمام أحمد : سمى رسول الله ﷺ ((**الرياء الشرك الأصغر**)) [١] ورواه الطبرانى والحاكم وقال: إسناده صحيح.

وقد جاء فى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل: ((**من عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى فهو له كله**)) رواه مالك وفى رواية : ((**وأنا منه برئ**)) ورواه ابن ماجة، ورواه مسلم مع تقديم وتأخير فى اللفظ ولا فرق فى الرياء بين الكثير والقليل وإن كان نذراً يسيراً أو كثيراً ، ولهذا جاء فى حديث معاذ: ((**أدنى الرياء شرك**)) [٢] كذا رواه الطبرانى والدارقطنى ، وكذا رواه الحاكم ولفظه ((**اليسير من الرياء شرك**)) [٣] وفى رواية ((**ولا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة خردل من رياء**)).

وفى الحديث : ((**إن الله عز وجل يقول للملائكة: إن هذا لم يرد فى عمله فاجعلوه فى سجين**)) رواه ابن المبارك فى كتابه الزهد وابن أبى الدنيا وأبو الشيخ.

وفى الحديث أنت عليه الصلاة والسلام قال: ((من سمّع سمّع الله به ومن يرائى يرآئى الله به)) [٤].

رواه البخارى ومسلم.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد فى مسنده (٥/٤٢٨) ، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء (١/٥٢٥).

(٢) **ضعيف**: كما ذكره العراقى فى "المغنى" (٤/٣٧٧).

(٣) **ضعيف** : رواه الحاكم فى "المستدرك" (١/١٤) والطبرانى فى "الأوسط" (٢/٤٥) بنحوه.

(٤) **صحيح** : رواه البخارى (١١ / ١٦٤٩٩) ومسلم (٤/٢٩٨٧) عن جندب.

ومعنى سمع: أى أظهر عمله لباس رياء، سمع الله به : أى فصنعه يوم القيامة، ومعنى من رائى: أى رائى الله به : أى أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عند هم ، رائى الله عز وجل به: أى ظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

وفى رواية الطبرانى والبيهقى((**من سمع الناس سمع الله به**)) سامع خلقه وحقره وصغره.

وفى الحديث: ((**إن المُرآئى ينُادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرآئى ضل عملك وحبط أجرك**)).

رواه ابن أبى الدنيا وفى رواية : ((**يا كافر يا خاسر**)).

وفى هذا أحاديث كثيرة مع ما نطق به كلام ربنا عز وجل منن الأمر بالإخلاص فى غير موضوع فمن رآى فقد خالف القرآن.

قال الله عز وجل: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ [البينة: ٥] ومن رائى لم يخلص.

وقد جاء فى الحديث:"أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى أقف الموقف أبتغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية الكريمة:

﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ [الكهف : ١١٠]



وإذا عرفت أيتها المؤمنة الطالبة للخير، ما تقدم لك من هذه الأخبار والآيات ، فلابد من معرفة الإخلاص وإلا فقد تلبس عليك النفس شيئاً تظنين أنك مخلصة ، وأنت مرآئية ولا تشعرين.

وللناس فى الإخلاص أقاويل كثيرة ، وليس الغرض فى التطويل ، فنذكر نبذة يسيرة من ذلك لتعرف المتعبدة حالها أهى فى النار أم الجنة ! ، ولتعلم أيضا قبل شروعها فى العبادة ، وفى شروعها فى الطاعات أن الله تعالى يطلع عليها ، وعلى سرها ، فإن أحست بشئ من الرياء فتبادر إلى تركه ، وإلا فما أخوفنى عليها من مصيبة وقعت فيها.

وقد قال بعض العلماء : من تدين للناس بما ليس فيه ، فقد سقط من عين الله ، ولن يهلك أحداً حتى يؤثر هواه على دينه ، فالحذر الحذر من ذلك؟

قال أهل التحقيق : الإخلاص أن تكون حركة الشخص وسكونه فى سره وعلانيته ، ولا يختلط بذلك هوى ولا دنيا.

وقال بعضهم : الإخلاص : التوقى عن ملاحظة الخلق ، والصدق والتوقى عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء فيه، والصادق والصادقة لا إعجاب لها.

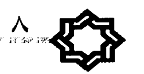
وقال بعضهم : الإخلاص أن يريد بطاعته التقرب إلى الله عز وجل ، دون التصنيع للخلق ، أو تحصيل أن يحمد عند الناس ، ويتمنى عليه، أو قصد معنى من المعانى غير التقرب إلى الله تعالى.

قالوا: وللإخلاص علامات منها: إستواء المدح والذم ومنها أن ينسى أن يرى أنه يعمل فى حالة طاعته ، ومنها طلب ثواب الآخرة.



وقال بعضهم: الصادق الذى لا يبالى لو خرج كل قدرله فى قلوب الخلق ، لأجل صلاح قلبه ، ولا يحب أن يطلع الناس على مثا قيل الذر من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من عمله ، وهذا كلام حسن ، لأن من وصل إلى ذلك : فقد أخلص ، ومات عنده ما سوى الله عز وجل ، وهذا فى الحقيقة هو معنى : لا إله إلا الله ، فهذا هو الموحد والله أعلم.

* * *



فـصــــل

نذكر فيه: شيئاً من عيش سيد الأولين والآخرين ﷺ ، لأنه المشرع ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ [الأحزاب : ٢١] وإنما أذكر ذلك ؛ ليتبين الحق من الباطل ، ويعلم بذلك الموقن المماطل فأول ما نذكره : سؤاله لربه ، مع ما أكرمه الله عز وجل من فتوح كنوز الأرض عليه فأبى ذلك ، ثم كان مع هذا الإكرام يقول:

((**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**)) ، كذا رواه البخارى ومسلم من رواية أبى هريرة فكان ﷺ يطلب من ربه عز وجل : القوت ، لا الشبع، والناس عكس ذلك يطلبون السعة ، ويفرحون بما هو فتنة.

قال أبو حازم: رأيت أبا هريرة قال بإصبعه مراراً : والذى نفس أبى هريرة بيده ، ما شبع نبى الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة ، حتى فارق الدنيا. (١)

رواه البخارى ومسلم.

وقال عمر بن الخطاب : ((كان رسول الله يظل اليوم يلتوى ما يجد دقلاً يملأ بطنه))(٢).رواه مسلم

والدقل : ردئ التمر.

وقال أنس: ((**ما أعلم ﷺ رأى رغيفاً مرفقاً، ولا شاة سميطاً**))(٣)



رواه البخاري.

ومر أبو هريرة بقوم بين أيديهم شاة مصلية ، فدعوه فأبى ؛ ثم قال: ((**خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير**))[٤].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان رسول الله ﷺ : يبيت الليالى المتتابعة طاوياً هو وأهله ، لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم الشعير[٥].

وقالت عائشة رضى الله عنها: كان يمر بنا هلال وهلال وهلال ما يوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار ، قال عروة : قلت : يا خالة فعلى أى شئ كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين التمر والماء[٦].

وقالت ابن عباس: قبض رسول الله ﷺ وإن درعه لمرهونة عند رجل من يهود، على ثلاثين صاعاً من شعير ، أخذها رزقاً لعياله[٧].

وقال أنس رضى الله عنه : جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز إلى النبى ﷺ فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ فقالت: خبزته فلم تطب نفسى

---

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (١١/٦٤٦٠) ، ومسلم (٤/١٨ ، ١٩ زهد).

(٢) حديث صحيح : رواه البخارى (٧/٨٧) ، ومسلم (٨/٢١٩).

(٣) حديث صحيح : رواه مسلم (٤/٢٩٧٨).

(٤) حديث صحيح : رواه البخارى (٧/٩٠ ، ٩٨) (٨/١٢١).

(٥) حديث صحيح : رواه البخارى (٧/٩٧).

(٦) حديث صحيح : رواه أحمد (١/٢٥٥ ، ٣٧٣) ، والترمذى فى "الشمائل" (١٣٩) وكذا فى شرحها لابن حجر (بتحقيقنا).

(٧) حديث صحيح : رواه أحمد (١/٢٣٦) ، والترمذى (١٢١٤).

حتى أتيك بهذه الكسرة ، فقال ﷺ: ((**أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام**)) (١).

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: خرج رسول الله ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : ما أخرجكما من بيتوكما هذه الساعة قالا: الجوع يا رسول الله ، فقال : وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما ، قوموا فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ: **أين فلان؟** قالت: ذهب يستعذب لنا الماء ، إذا جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه فقال : الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً منى ، فأنطلق فجاءهم بعذب فيه: بسر، وتمر، ورطب، فقال: كلوا، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ : "**إياك والحلوب**" فذبح لهم فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا، فلما أن شبعوا، ورودوا، قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: ((**والذى نفسى بيده لتسألك عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**)) (٢).

رواه مسلم.

إذا كان هذا قوله فى أكلة بعد هذا الجوع الشديد ، فكيف حال سؤال من لم يزل يأكل ويترفه؟ إنا لله وإنا إليه راجعون ! على ما نفعل بأنفسنا.

---

(١) حديث حسن : رواه ابن سعد فى " الكبرى " (١/٣٠٦) ، والطبرانى (١/٢٣٢).

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٦/١١٦ ، ١١٧).

العذق: الغصن ، المديه: السكين ، الحلوب : ذات اللبن.
وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان ، ذكره الترمذى وغيره وجاء مبيناً فى بعض الروايات.
وقال أنس رضى الله عنه: رهن رسول الله ﷺ درعه على شعير، ومشيت إلى النبى: بخبز شعير، وإهالة سخنة ، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد إلا صاع . ولا أمسى، وإنهم لتسعة أبيات» [1]. رواه البخارى.
والإمالة بكسر الهمزة: الشحم الذائب، النسخة : المتغيرة.
* **ويحكن:** بل ويلكن يا نساء زماننا ، يا عدوات أنفسهم ! تسمعن بحالة أزواج رسول الله ﷺ ، وما هن فيه من ضيق العيش ، وهن زوجات أفضل الخلق ، ولا تستتن بهن بل تطلب إحداكن فى رغد من العيش ، وإن فاتها ثواب ما عند الله تعالى من الجزيل، من المصيبة العظيمة على الواحدة منكن أن زوجها يأتى بالشئ بعد أن كابد المشاق؛ فتظهر له كراهية ما أتى به وتعيش لذلك ، فكأنى به وقد تشيح وجهها فى ظلمة القبر، وفى نار لو أنزل منها شرارة لأحرقت الدنيا وما عليها، وما أخوفنى على الواحدة منكن وقد قالت: إن بيت فلان وفلان فى عيش طيب، ونحن يا خيبتى فى هذا الحال ، فيقول لها زوجها : إن بيت فلان وفلان قد آثروا دنياهم على دينهم، واقتداؤنا برسول الله ﷺ وبنسائه أمهات المؤمنين أحب إلينا ، وأقرب إلى رضى الله عز وجل علينا ، فتقول فى جوابه: وأى شئ

---

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (٧٤/٣ ، ١٨٦) ، وأحمد (١٣٣/٣).

أعمل بدينك، اذهب واقطع رؤوس الأحياء والأموات ، وأطعمنى طيباً ، وألبسنى الناعم من الثياب ، والآخره مؤخرة ، ونحو ذلك من الكلام السئ.
فهذه المرأة قد أوقعت نفسها فى حفرة من حفر جهنم ، بهذه الكلمة الخبيئة.
ففى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:((**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**)). [١] رواه البخارى ومسلم.
نعوذ بالله من بطن يؤدى إلى هذه البلية ، وأى شئ أعظم على العبد من هذا !

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : ((**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**))[٢].
رواه مسلم

وقال أسامة : قال رسول الله ﷺ :((**قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**))[٣].
رواه البخارى ومسلم.

---

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (٦٤٧٧/١١) ، ومسلم (٥٠/٤ زهد).
(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (١٤٩/٨).
(٣) حديث صحيح : رواه البخارى (٥١٩٦) ، ومسلم (٢٧٣٦).

والجد بفتح الجيم: هو الحظ والغنى.

* فعليك أيتها المسكينة بالمبادرة إلى التوبة من هذه الحالة الخبيثة، التى تؤدى إلى هذه النار المهولة، واحرصى أن تكونى ممن أخبر سيد الأولين والآخرين عنه قال «**قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافاً، وقنعه الله بما آتاه**»[١].

رواه مسلم.

وفى رواية فضالة الأنصارى رضى الله عنه أن سمع من رسول الله ﷺ يقول:

« **طوبى لمن هُدى للإسلام ، وكان عيشه كفافاً ، وقنع**»[٢].

رواه الترمذى ، وقال: حديث صحيح.

وقال ﷺ : «**اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء**»[٣]. رواه أحمد بإسناد جيد.

* واعلمى أيتها المؤمنة الطالبة للخير ، إن لم تتعظى بما ذكرت لك، فاعلمى أنك مطرودة عن الخير، ملقية نفسك فى حفرة من حفر النار، وإن لم تقدرى على حبس نفسك عن هذا البلاء الذى نزل بك من حب المأكل والملبس والشهوات ، فضعى يدك فى النار ، يحصل لك اليقظة ، والله أعلم.

---

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (١٠٥٤).

(٢) حديث صحيح : رواه الترمذى (٢٣٤٩) وقال حسن صحيح.

(٣)حديث صحيح : رواه أحمد (٤/٤٢٩ ، ٤٣٧) ، والبخارى (٤/١٤٢) بنحوه.

وإذا عرفتن أيتها المؤمنات الطالبات للخير ما تقدم ، فعليكن بالاقتداء بمن عند ذكرهن تنزل الرحمة والخيرات ، وبالتأسي بهن تنالن رضوان الله عز وجل والدرجات السنيات.

فأول ما أبدأ به.

***

فاطمة بنت سيد الأولين والآخرين

وسيد اللاحقين

رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة رضى الله عنها ، ولدتها وقريش تبنى البيت قبل النبوة بخمس سنين ، وهى أصغر بناته ، وتزوجها على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة ، فى رمضان ، وبنى بها فى ذى الحجة، وقيل: تزوجها فى رجب ، وقيل: فى صفر.

فولدت : الحسن ، والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم ، قال على رضى الله عنه: لقد تزوجت فاطمة ، ومالى ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل ، وتعلف عليه الناضح بالنهار، ومالى ولها خادم غيرها.

قال على رضى الله عنه : لما زوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاطمة رضى الله عنها بعث معها خميلة، ووسادة أدم حشوها ليف، ورحى وسقاء وجرتين[١].

والأدم: الجلد ، والرحى : الطاحونة.

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (١/٧٩ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦).

فقال على رضى الله عنه ذات يوم لفاطمة رضى الله عنه : لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه يعنى : اطلبى منه خادماً ، فقالت فاطمة: وأنا والله! طحنت حتى مجلت يداى أى نفطت فلما أتت النبى ﷺ ، قال: ما جاء بك أى بنيه ؟ فقالت: أستحييت أن أسأله ، فأتياه جميعاً، فقال على: يا رسول الله: والله ! لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداى، وقد جاء الله عز وجل بهذا السبى ، وسعة ، فاخد منا ؟ ؛ فقال النبى ﷺ: ((**والله لا أعطيكما، وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**)) فرجعا، فأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما ، فكانا إذا غطيا رؤسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤسهما، فثاروا، فقال ﷺ : ((**مكانكما**))! ثم قال: ((**ألا أخبركما بخير مما سألتمانى**)) ؟ قالا: بلى ! فقال: ((**كلمات علمنيهن جبريل، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاث وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين**)) ، فقال على رضى الله عنه : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ ، فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين ، فقال على : قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صفين.

وقال رضى الله عنه : لقد كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأكرم منى عليه، وكانت زوجتى فجرت بالرحى ، حتى أثرت الرحى يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت أى كنسته حتى أغبرت



ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، وأصابها من ذلك خير، والله أعلم.

* **ويحكن !** بل ويلكن ! يا نساء هذا الزمان بمن أقتديتن في تكبركن ، وترفهكن ، وأكلكن الطيب ، ولبسكن الناعم ، وأخدامكن الأرقاء ، والأحرار، وهذه بنت سيد الأولين والآخرين تفعل هذه الأمور ، وتقبل وصية أبيها معلم الخير ﷺ في التعوض عن هذه الترفهات بهذه الباقيات الصالحات ، وهي: التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، فكأني بكن وقد ذهبت عنكن هذه الشهوات ، وبقيت التبعات ، والمطالبات.

* **ويحكن :** اتقين الله في أزواكجن ، وفي أنفسكن ، في أشد أهوال الآخرة يا نساء المؤمنات ، انتصحن فإني والله! لكن من الناصحين ، ولئن أطعتن ما نبهتكن عليه ، واقتديتن بالاتي أذكرهن لتكونن من الفائزات بالدرجات العاليات في جنات النعيم، وما هذه الدار الغرارة التي وصفها الله تعالى بما وصف به إبليس عافانا الله تعالى، وإياكن من بلاء يهلككم، والله لقد أهلكت منْ شخص ، وكان يود أنه لم يشبع يوماً، لما رأى من النعيم المقيم، والعذاب الكثير الأليم للمترفهين، والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ : «**من ترك اللباس تواضعاً لله عز وجل وهو يقدر عليه، دعاه يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره أي حلل الإيمان إن شاء يلبسها**»[١].

رواه الترمذي ، قال : حديث حسن.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٤/٢٤٨١) ، وأحمد (٣/٤٣٨،٤٣٩).



وقال ﷺ: ((**من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**))[١]

رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح.

والأخبار لمثل ذلك كثيرة ، والله أعلم.

قال عطاء ابن أبى رباح: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لتعجن، وإن قصبتها تكاد تضرب الجفنة.

توفيت فاطمة رضى الله عنها بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة وهى بنت ثمان وعشرين سنة ونصف.

وغسلها على رضى الله عنه ، وصلى عليها ، وقيل : صلى عليها العباس، ودفنت ليلاً ، وقيل : غير ذلك والله أعلم.

***

ومنهن :

٢- خديجة بنت خويلد

سافر لها رسول الله ﷺ فى تجارة ، فرأت عند قدومه غمامة تظله ، فتزوجته، وكانت تزوجت قبله بزوجين، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وهى بنت أربعين سنة ، وجاءته عليه الصلاة والسلام النبوة ، فأسلمت فهى أول امرأة آمنت به، ولم ينكح غيرها حتى ماتت ، وجميع أولاده منها ، سوى إبراهيم.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٧٩١/١٠) ومسلم (٢٠٨٥/٣)، وأبو داود (٤٠٨٥/٤)، والترمذى (١٧٣١/٤).



قال أبو هريرة أتى جبريل النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : هذه خديجة بإناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ، فإذا هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ، ولا نصب"[١].

رواه البخارى ومسلم.

وهذا الخير العظيم الذى حصل لها ، إنما كان بحسن أدبها معه ﷺ ، بإيثارها له بماله ، ونفسها.

فعليكن: بالإحسان إلى أزواجكن الأخيار ، ومن كانت مع زوج عريف ، أو نقيب ، أو ظالم ، فلتتخلص منه ، وإلا فقد أوقعت نفسها فى بلاء عظيم.

قال رسول الله ﷺ : ((**كل جسم نبت على حرام فالنار أولى به**))[٢]

عافانا الله تعالى وإياكن من أسباب النار ، والله أعلم.

قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ : لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتنى الغيرة فقلت : هل كانت إلا عجوزاً ، قد أخلفك الله تعالى خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره ، ثم قال : لا والله : ما أخلف الله خيراً منها، ولقد آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت بينى وبين نفسى فلا أذكرها بسوء أبداً.

---

(١) صحيح : البخارى (٥/٤٨) ، (٩/١٧٦) ، ومسلم (٧/١٣٣).

(٢) ضعيف: رواه أبو نعيم فى "الحلية" (١/٣١) وذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٢/١٧٦).



توفيت بعد أن مضى على النبوة عشر سنين ، وهى بنت خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون ، ونزل رسول الله ﷺ فى حفرتها ، والله أعلم.

* * *

ومنهن :

٣- عائشة بنت أبى بكر الصديق

رضى الله عنهما

وكانت مسماة لجبير بن مطعم ، فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : دعنى حتى أسلها من جبير سلاً ، ففعل فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة فى شوال قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بثلاث ، وهى بنث ست سنين ، وبنى بها أى دخل بها وهى بنت تسع سنين ، ولم يتزوج بكراً غيرها.

قال هشام بن عروة : كانت عائشة رضى الله عنها : تسرد الصوم.

وقال عبد الرحمن بن القاسم : قال أبى : كانت عائشة تصوم الدهر لا تفطر إلا يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، وكانت كثيرة الاجتهاد فى العبادة.

قال ابن القاسم : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها ، فغدوت يوماً فإذا هى تصلى وتقرأ : ﴿ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم** ﴾ [الطور: ٢٧] وتدعوا ، وتبكى ، وترددها حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتى ، وجئت فإذا هى قائمة كما هى تصلى ، ومن كلامها النافع إنكم لن تلقوا الله بشئ خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب



المجتهد فليكف عن الذنوب ، وكانت زاهدة ، راغبة ، فى الإيثار ، مع كثرة عبادتها.

قال عطاء : بعث معاوية إليها بطوق من ذهب فيه جوهرة قوم بمائة ألف ، فقسمته بين أزواج النبى ﷺ.

قال محمد بن المنكدر : قالت أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها : بعث إليها ابن الزبير بمال فى غرارتين قالت : أراه ثمانين ومائة ألف ، فدعت بطبقٍ ، وهى يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطرى ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت أم درة : أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم كنا نفطر عليه ، فقالت عائشة : لا تعنفينى ، لو كنت ذكرتينى لفعلت والله أعلم.

هذا شأن طالبات الآخرة نسيت نفسها ، واثرت بهذا المال العظيم رجاء ثواب الله عز وجل ، ورضاه.

* **وأنتن يا نساء هذا الزمان !** عكس ذلك ! تتركن ما يقرب إلى الله عز وجل ، وتفعلن ما يبعدكن عنه ، وتخشين الفقر ، ولا تتقين الله عز وجل لا فى مأكل ولا فى ملبس ، أى مصيبة أعظم مما أنتن عليه ؟ من هذه الخصال الخبيثة.

فعليكن بالتوبة والاقتداء بأمكن، والله أعلم.

قال عروة : لقد رأيت عائشة رضى الله عنها تقسم سبعين ألفاً ، وهى ترقع درعها ، وكانت شديدة الخوف من الله عز وجل.



لما مرضت جاء عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يستأذن عليها ، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن ، فقالت : دعنى من ابن عباس فقال : يا أماه إن ابن عباس من صالحى بنيك يريد يسلم عليك فقالت : ائذن له إن شئت فأدخلته.

فلما جلس قال : أبشرى فما بينك وبين أن تلقى محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخـــرج الروح من الجسد ، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك يوم الإيواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح فى المنزل ، وأصبح الناس وليس معهم مـــاء فأنـــزل الله عـــز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُـــكَارَى حَـــتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنـــتُم مَّرْضَـــى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِـــدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [النساء : ٤٣] فكان ذلك بسببك ، وما أنزل الله تعالى لهذه الأمة من هذه الرخصة ، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجداً من مساجد الله عز وجل يذكر الله فيه إلا تتلى فيه أناء الليل وأناء النهار ، فقالت عائشة : دعنى منك يا ابن عباس ، فو الذى نفسى بيده ، لوددت أنى كنت نسياً منسياً.

قال الواقدى : توفيت عائشة رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من رمضان سنة مان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة ، وقال غيرة : توفيت سنة سبع وخمسين فأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحبتها ،

وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنها ، وكان خليفة مروان بالمدينة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب

رضى الله عنهما

وكانت عند خنيس بن حذافة السهمى وهاجرت معه إلى المدينة ، فمات عنها بعد الهجرة لما قدم رسول الله ﷺ من بدر قال عمر : تأيمت حفصة من خنيس ، وكان ممن شهد بدراً ، فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة ، قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة ؟ فلم يرجع لى شيئاً ، فكنت أوجد عليه منى على عثمان ، فلبثت ليالى فخطبها إلى رسول الله ﷺ ، فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت علىّ حين عرضت على حفصة ، قال: قلت نعم! قال فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها علىَ ، إلا أنى سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ، ولم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها لنكحتها. (١)

رواه البخارى.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣١٥٢)

وأخذ العلماء رضى الله عنهم من ذلك استحباب عرض الرجل موليته على الرجل الصالح ، لأن الله يتولى الصالحين ، ومن يتولاه الله عز وجل فهو سعيد الدنيا والآخرة ، ولهذا كانت الملوك تخطب بنات واحد منهم فيأبى ذلك ، ويحرص على أن تكون موليته تحت من يعلمها الخير ليسلم دينها ، ويفرح بذلك ، ويحزن إذا كانت تحت من هو من أبناء الدنيا ، لأن السعة مفسرة للدين ، والفقر شعار الأنبياء ، وأثار الأولياء ، أعاد الله علينا من بركاتهم ، وقد مات بين مكة والمدينة سبعون نبياً بالقمل ، والجوع ، وذلك لكرامتهم على الله عز وجل.

قال ثابت :خطب يزيد بن معاوية ! الدراداء فرده أبو الدرداء ، فخطبها شخص من ضعفاء المسلمين ! فأنكحه إياه ، فتحدث الناس بذلك بأنه رد يزيد بن معاوية وزوج شخصاً من ضعفاء المسلمين ، فلما بلغ ذلك أبا الدرداء : قال : إنى نظرت للدرداء ، فما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان ، أى الطاشية ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها ، أين دينها منها يومئذ؟ والله أعلم.

قال قيس بن زيد لما طلق رسول الله ﷺ حفصة قال له جبريل : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك فى الجنة[1].

قال الواقدى : توفيت حفصة فى شعبان سنة خمسة وأربعين فى خلافة معاوية، وهى ابنة ستين سنة ، وقيل ماتت فى خلافة عثمان ، بالمدينة. والله أعلم.

([1]) صحيح: رواه ابن ماجة (٢٠١٦) ، والنسائى (٢١٣/٦).

ومنهن :

٥- أم سلمة رضى الله عنهما

وكانت عند أبى سلمة ، فهاجر بها الهجرتين جميعاً ، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة ، فتزوجها رسول الله ﷺ.

جاء أبو سلمة يوماً إلى أم سلمة فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ وسلم حديثاً أحبّ إلىّ من كذا وكذا ، وسمعته يقول : لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول : « **اللهم اخلفنى فيها خيراً منها إلا أعطاه الله عز وجل**».

قالت أم سلمة : فلما أصبت بأبى سلمة قلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتى هذه ، ولم تطب نفسى أن يقول: أخلفنى خيراً منها ثم قلت : من خير من أبى سلمة ! أليس ! ثم قلت ذلك ، فلما أنقضت عدتى ! أرسل إلى أبى بكر يخطبنى فأبيت ، ثم أرسل إلى عمر فأبيت ، ثم أرسل إلى رسول الله ﷺ يخطبنى فقلت : مرحباً برسول الله ﷺ إن فىّ ضلالاً ، وأنا امرأة شديدة الغيرة ، ولى حبيبة ، وليس لى أحد ههنا من أوليائى فيزوجنى ، فغضب عمر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ حين ردته ، فقال له : يا ابن الخطاب فى كذا وكذا فأتاها رسول الله ﷺ فقال: أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك ، **وأما ما ذكرت من حبيتك : فإن الله عز وجل سيكفيهم ، وأما ما ذكرت من أوليائك : فليس أحد شاهد ، أو نائب ، يكرهنى ثم قال : أما أنى لم أنقصك ما أعطيت فلانة ، وكان قد**



أعطاها : جرتين تضع فيهما حاجتها ، ورحى ، ووسادة من أدم حشوها ليف[١].

قيل : أنها كانت فى النساء كأنها ليست فيهن ، لما تجد ما يجدن من الغيرة ببركة دعوة رسول الله ﷺ.

توفيت أم سلمة رضى الله عنها فى سنة تسع وخمسين ، وقبرت بالبقيع ، وهى ابنة أربعة وثمانين سنة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦-أم حبيبة رضى الله عنها

واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت تحت عبيد الله بن جحش ، وهاجر بها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ، ثم ارتد عن الإسلام ، وتنصر ، ومات هناك ، فنسأل الله عز وجل العافية من ذلك ، ومن جميع المعاصى ، فإنها بريدة الكافر ، وثبتت أم حبيبة على دينها ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمرى إلى النجاشى ليخطبها ، فزوجها إياه ، وأصدق عنه النجاشى ، وذلك سنة سبع من الهجرة.

قال الزهرى : قدم سفيان بن حرب المدينة ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد فتح مكة ، فكلمه أن يزيد فى هدنة الحديبية ، فلم يقبل رسول الله ﷺ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨/٤) وأحمد (١٩٥/٣).

فقام فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه ، فقال : يا بنية : أرغبت بهذا الفراش عنى ، أم به عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك[١].

قالت عائشة : دعتنى أم حبيبة عند موتها ، فقالت : قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك ، فقلت : غفر الله لى ولك وتجاوز ضللك من ذلك كله ، فقالت سررتينى سرّك الله عز وجل ، وأرسلت إلى أم سلمة ، فقالت : لها مثل ذلك.

توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٧- زينب بنت جحش رضى الله عنها

أمها آمنة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، زوجها رسول الله ﷺ لزيد ابن حارثة ، فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ فى سنة خمس من الهجرة، وكانت من المهاجرات رضى الله عنها.

قال أنس رضى الله عنه : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة أذهب فاذكرنى لها ! فذهبت إليها فجعلت ظهرى إلى الباب قلت: يا زينب بعثنى إليك رسول الله ﷺ ، يذكرك ، فقالت : ما كنت أحدث شيئاً

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/٣٨،٣٧) ، وأحمد (٦/٣٢١،٣٠٩).



حتى أوامر ربى عز وجل ، فقامت إلى مسجد لها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب : ٣٧] فجاء رسول الله ﷺ : فدخل عليها بغير إذنه(١).

رواه مسلم وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه : أن زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله عز وجل من فوق سبع سموات(٢).

قالت عائشة رضى الله عنها : كانت زينب هى التى تساوينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع ، ولم أرى امرأة أكثر خيراً ، وأكثر صدقة ، وأوصل للرحم ، وأبذل لنفسها فى كل شئ يتقرب به إلى الله عز وجل من زينب ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، يوشك فيها الغيه.

قالت برزة ابنة رافع : لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بالذى لها ، فلما دخل عليها قالت : غفر الله عز وجل لعمر ، لغيرى من أخوتى كأنى أقوى على قسم هذا منى ، فقالوا : هذا كله لك ، فقالت : سبحان الله ؟ ثم قالت : صبوجاً وأطرحوا عليه ثوباً ، ففعلوا ، فقالت لى : أدخلى يدك فأقبضى منه قبضة ! فاذهبى إلى آل فلان ، وآل فلان من أيتامها ، وذوى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨/٤) ، وأحمد (١٩٥/٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٥٢/٩).

رحمها ، فقسمته حتى بقى منه بقية فقالت لها برزة : غفر الله لك ، والله لقد كان لنا فى هذا حظ ، قالت : ضلكم ما تحت الثوب.

قالت فرفعنا الثوب فوجدنها خمساً وثمانين درهماً ، ثم رفعت زينب رضى الله عنها عند ذلك يدها ، فقالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا فماتت.

قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ لأزواجه أولكن يتبعنى ، أطولكن يداً ، قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا فى الحائط نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب ، وكانت امرأة قصير ، ولم تكن أطولنا يداً ، فعرفت أن النبى ﷺ أراد بطول اليد الصدقة ، وكانت امرأة صناعة ، وكانت تعمل بيدها ، وتتصدق به فى سبيل الله عز وجل[١].

توفيت زينب فى سنة عشرين، وهى بنت ثلاثة وخمسين سنة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٨- جويرية بنت الحارث

رضى الله عنها

قالت عائشة رضى الله عنها أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق ، فوقعت جويرية فى سهم ابن ثابت بن قيس ، فكاتبها على تسع أواق.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٧/٢) ومسلم (٢٤٥٢).

وكانت امرأة حلوة لا تكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبينما رسول الله ﷺ عندى إذ دخلت عليه جويرية تسأل عن كتابتها ، فوالله ، ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على رسول الله ﷺ ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت ، ووقعت ، فى سهم ابن ثابت بن قيس فكاتبنى على تسع أواق ، فأعنى على كتابتى ، فقال : أو خير من ذلك فقالت: ما هو ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك ، وأتزوجك ، فقالت : نعم يا رسول الله ، فقال : قد فعلت ، فخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أحبها رسول الله ﷺ يسترقون ، فأعتقوا ما كان فى أيديهم من نساء بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت بتزويجه إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، فتزوج رسول الله ﷺ جويرية وهى بنت عشرين سنة ، وتوفيت سنة خمسين وهى بنت خمس وستين سنة ، والله أعلم

***

ومنهن :

٩- صفية بنت حُيىّ

رضى الله عنها

من سبط هارون بن عمران ، سباها النبى ﷺلنفسه ، فأسلمت وأعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، وقيل : وقعت فى سهم دحية الكلبى ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس.

قال جابر : أتى رسول الله ﷺ بصفيه يوم خيبر ، وقد قُتل أخوها وزوجها، وقال لبلال : خذها ، فأخذ بيدها ، ثم دخل عليها رسول الله فنزعت شيئاً كانت عليه جالسة ، فألقته لرسول الله ﷺ ، ثم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : اختار الله ورسوله فلما كان عند رحلته أحقب بعيره ثم خرجت معه تمشى حتى ثنى لها ركبته ، فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه ، فوضعت ركبتها ثم ركب رسول الله ﷺ فألقى عليها كساء ، ثم قال المسلمون : حجبها رسول الله ﷺ حتى إذا كان على ستة ليال من خيبر مال يريد أن يعرس بها ، فأبت صفية ، فلما كان بالصهبا مال إلى رومة هناك ، فطاوعته ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : «**ما حملك على إبائك من النزول الأول**» فقالت : يا رسول الله خشيت عليك لقرب يهود ، فأعرس بها رسول الله ﷺ بالصهباء ، وبات أبو أيوب يحرس رسول الله ﷺ فلما سمع رسول الله ﷺ الوطئ ، قال : من هذا ؟ قال أنا خالد بن زيد فقال : مالك ؟ فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك.توفيت صفية سنة خمسين ، وقيل : اثنين وخمسين ، ودفنت بالبقيع ، والله أعلم.

***

ومنهن :

١٠- أم شريك

واسمها عربة ، وهى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقبلها على ما قاله الأكثرون حتى مات عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عباس : وقع فى قلب أم شريك الإسلام ، وهى بمكة فأسلمت ، وجعلت تدخل على نساء قريش فتدعوهن ، وترغبهن فى الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها ، وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك ، وفعلنا ولكنا نسيرك إليهم ، قالت : فحملونى على بعير ليس تحته شئ ، ثم تركونى ثلاثاً لا يطعمونى ولا يسقونى ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً ، أوثقونى فى الشمس ، واستظلوا هم منها ، وحبسونى عن الطعام والشراب ، فبينما هم قد نزلوا منزلاً أوثقونى فى الشمس فإذا أنا بأبرد شئ على صدرى فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع منى ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع مراراً ، فشربت حتى رويت ، ثم أفضت سائرة على جسدى وثيابى ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأونى حسنة الهيئة فقالوا : انحللت فأخذت سقاءنا فشربت فقلت : لا والله! ولكننه كان الأمر كذا وكذا ، فقالوا : لئن كنت صادقة لدينك خيراً من ديننا ، فلما نظروا إلى سقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك.

وأقبلت إلى النبى ﷺ فوهبت نفسها له وبغير مهر فقبلها ودخل عليها والله أعلم.

وفى روايتنا فائدة جليلة وهى أن من صدق فى حسن الاعتماد على الله ، وقطع طمعه عما سواه، جاءته الفتوحات من الغيب فسبحان العزيز الوهاب والله أعلم.

* * *

ومنهن :

١١- فاطمة بنت أسد

هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أم على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وكانت امرأة صالحة وكان النبى ﷺ يزورها ويقبل فى بيتها قال لها على رضى الله عنه : أكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب إلى الحاجة وتكفيك خدمة الداخلة والطحن والعجين والله أعلم.

* **هكذا كن** رضى الله عنهن وأنتن يا نساء زماننا ترين أن ذلك نقص فى حقكن وتتشبهن بنساء الظلمة فى الترفع والتكبر إن الله لا يحب المتكبرين والله أعلم.

***

ومنهن :

١٢- أم أيمن

واسمها بركة ، وهى مولاة رسول الله ﷺ وحاضنة ورثها من أبيه وأعتقها حين تزوج خديجة، وهاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهى ماشية ليس معها زاد، وكانت صائمة فى يوم شديد الحر فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت وهى بالروحاء أو قريباً منها، قالت: فلما غابت الشمس، إذا أنا بخفيق شئ فوق رأسى، فرفعت رأسى فإذا أنا بدلو من السماء ، مدلى برشاء أبيض، ، فدنا منى حتى إذا كان بحيث استمكن منه

تناولته فشربت منه حتى رويت، فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أقف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها، وحضرت رضي الله عنها غزوة أحد فكانت تسقي الماء وتداوي البرص، وشهدت غزوة خيبر وتوفيت في آخر خلافة عثمان رضي الله عنها والله أعلم.

***

ومنهن :

١٣- أم كلثوم

بنت عقبة بن أبي معيط لعنه الله تعالى ، أسلمت وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال قدامة: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم رضي الله عنها، وخبرها في هجرتها عجيب.

قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهل فأقيم فيها الثلاث والأربع وهي ناحية النعيم ، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي إلى البادية، حتى إذا جمعت على المسير خرجت يوماً من مكاني أريد البادية، فلما رجع من تتبعني ، إذا رجل من خزاعة فقال: أين تريدين ؟ فقلت : وما مسكنك ومن أنت ؟ فقال: رجل من خزاعة فلما اطمأنت نفسي إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ فقلت: إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ولا أعلم بالطريق فقال : أنا صاحبك أوردك المدينة ثم جاءني ببعير فركبته فكان هو يقود البعير ولا والله لا يكلمني بكلمة حتى إذا أنا خ البعير تنحى عنه، فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة ، وتنحى إلى فيئ

الشجرة ، حتى إذا كان الرواح خدج البعير فقربه إلي ، وولى عنى فإذا ركبت أخذ برأسه ، ولم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة فجزاه الله تعالى من صاحب خيراً، فدخلت على أم سلمة، وأنا متنقبة فما عرفتني حتى أنتشبت ، وكشفت الثياب، فالتزمتني، وقالت : هاجرت إلى الله ورسوله، قلت: نعم! أخاف أن يردني أهلي ، كما رد أبا جندل وأبو بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء، والقوم مصبحي قد طالت غيبي عنهم اليوم خمسة أيام ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته خبري فرحب بي، وسهل، فقلت: إني فررت بديني، فامنعني ، ولا تردني إليهم ، يفتنوني ويعذبوني ، ولا صبر لي على العذاب ، أنا امرأة ! وضعف النساء إلى ما تعرف، فقال لي رسول الله ﷺ : إن الله قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم، وكان يرد النساء ، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد، فقالا: أوف لنا شرطنا وما عاهدتنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام قد نقض الله تعالى ذلك، فانصرفا ونقض العهد في النساء: آية الامتحان، فامتحنها رسول الله ﷺ ، وامتحن النساء بعد ذلك، فكان يقول لهن: والله أما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام، وما خرجتن لزوج، ولا مال ، فإذا قلن ذلك تركن، ولم يردهن إلى أهليهن رضي الله عنهن.

***



ومنهن :

١٤- الحولاء بنت تويت

[أسلمت وبايعت] (١)

قالت عائشة رضي الله عنها: مرت الحولاء وعندي رسول الله ﷺ فقلت: هذه الحولاء، زعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ : لا تنام الليل «**خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا**»(٢).

***

ومنهن :

١٥- أسماء بنت أبي بكر الصديق

رضي الله عنهما

أسلمت بمكة قديماً وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ ، والآخر عصاماً لقربته، فسميت ذات النطاقين.

تزوجها الزبير وكانت صالحة، تمرض المرضى، وتعتق كل مملوك لها.

---

(١) ما بين [ ] سقط من (أ).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨٥) ، وأحمد (٦/٢٤٧).

قال عبد الله بن الزبير: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء رضى الله عنهما، وجودهما مختلف: أما عائشة: فكانت تجمع الشئ إلى الشئ، ثم تقسمه.

وأما أسماء: فكانت لا تمسك شيئاً ، لقد توفيت قبل قتل ابنها عبد الله بليال والله أعلم.

***

ومنهن :

١٦- أم عمارة

واسمها نسيبة بنت كعب بفتح النون وكسر السين وهى أنصارية ، أسلمت، وبايعت، وشهدت غزوة أحد ، والحديبية، وخيبر، وحنين، وعمرة القضية، ويوم اليمامة.

قال رسول الله ﷺ : «**ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دونى**» [١].

قال الواقدى: قاتلت يوم أحد ، وجرحت اثنتى عشرة جراحة ، ودوات فى عنقها ستة ثم نادى منادى رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسر، فشدت ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم.

---

(١) ضعيف: رواه الواقدى وابن سعدكما فى "الكنز" (٣٧٥٨٩/١٣)



قال ابن اسحاق: خرجت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فى قتال الردة، فباشرت الحرب بنفسها ، حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة، وضربة رضى الله عنها.

* * *

ومنهن :

١٧- أم سليم بنت ملحان

واختلف فى اسمها فقيل ، سهلة وقيل: زميلة ، وقيل ، رمثية تزوجها مالك ابن النضر، فولدت له أنس بن مالك ، ثم قتل ، فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم، فقالت: إنى فيك لراغبة ! وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهرى، لا أسألك غيره فأسلم أبو طلحة، وتزوجها رضى الله عنهما.

وفى رواية قالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة يجرها حبشى من بنى فلان؟ قال: بلى ! قالت: أفلا تستحى أن تعبد خشبة من نبات الأرض ، إن أنت أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره، فقال: حتى أنظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة ، قال ثابت : فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم فى الإسلام، قال أنس رضى الله عنه كان النبى ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النطع ، فيقيل عندها ، فتأخذ من عرقه فتجعله فى طيبها.

قال أنس: جاء أبو طلحة يوم حنين ، يضحك رسول الله ﷺ من أم سليم، فقال: يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجر ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**ما تصنعين بهذا يا أم سليم ؟**» فقالت: أردت إن دنى من أحد منهم طعنته[١].

قال أنس: لما كان يوم أحد ، رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان ينقلان القرب على متونهما، ثم يفرغانها فى أفواه القوم ، ويرجعان ويملأنها ويفرغانها فى أفواه القوم.

قال أنس: كان ابن لأبى طلحة من أم سليم، فمرض فخرج أبو طلحة، فقبض الصبى فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فلما رجع قال: ما فعل ابنى؟ قالت: هو أسكن ما كان، ثم قربت له العشاء، فتعشى وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع ، فوقع بها، فلما رأته قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة : أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم قال: لا قالت: فاحتسب ابنك ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ : «**بارك الله لكما فى ليلتكما**» ، فولدت له غلاماً ، وقالت: أى يا أنس لا يرضعه أحد حتى يغذيه رسول الله ﷺ ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآنى قال: لعل أم سليم ولدت؟ قلت : نعم ! فوضعته فى حجرة ، فأتى رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها فى فيه

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٠٣/٣) ، وأبو نعيم فى "المعرفة" (٧٩٤٠) بتحقيقنا.

حتى ذابت، ثم قذفها فى الصبى، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ: ((**انظروا إلى حب الأنصار التمر فمسح وجهه وسماه عبد الله**)) [١].

قال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد من أولاد عبد الله المولود كلهم قد قرأ القرآن. رواه البخارى والله أعلم.

***

ومنهن :

١٨- أم حرام

أخت أم سليم أسلمت، وبايعت رسول الله ﷺ وكان يقبل فى بيتها وتزوجها عبادة بن الصامت.

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام : أنا منهم ؟ قال : أنت منهم**)) [٢].

قال هشام: قبر أم حرام بقبرس ، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة رضى الله عنها والله أعلم.

***

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤/٤٠) ومسلم (٥/١٩٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤/٩١) ، ومسلم (١/٧٥).

ومنهن :

١٩- امرأة من المهاجرات

قال ابن سيرين: جاء أبا بكر مال فقسمة في الناس فبعث إلى تلك المرأة منه فقالت: ما هذا ؟ فقالوا: بعثه أبو بكر لك كما في نظرائك فقالت: أتخافون أن أدع الإسلام؟ قالوا: لا فقالت: أفترشونني على ديني؟ قالوا: لا فقالت:لا حاجة لي فيه رضي الله عنها.

هكذا ! كن يأتيهن المال الحلال الطيب، فلا يقبلنه مخافة أن يتدنس دينهن وأنتن.

* **ويحكن:** يا نساء زماننا ، تأخذن المال الحرام وتتكثرن به، فكأني بكن، وقد صار ذلك ناراً ، على أجسامكن، وفي بطونكن.

لاسيما امرأة العريف ، والنقيب ، وجميع أعوان الظلمة من المكسة ، والمحتسب، وقضاة البراطيل ، وشهود القسم، فإن ذلك يكسون به حللا من النار، بل هو عينه يكون يلتهب عليكن ناراً.

كما في الحديث الصحيح من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد فقال: كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة.

رواه مسلم ، ورواه البخاري من رواية عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه أنه كان على شمل النبي ﷺ ، رجل يقال له : كركرة، فمات فقال رسول الله ﷺ : هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة غلها وفي رواية أنها لتشتعل عليه ناراً.

وإذا كان هذا شهيد من أصحاب رسول الله ﷺ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وله حق فى الغنيمة، والذى أخذه كان للنبى أن يعطيه إياه ومع هذا كله، فالشملة أو العباءة تشتعل عليه ناراً، فكيف حال الذى يأخذ أموال الناس ولا حق له البتة، وإنما يأخذه على سبيل الظلم والعدوان ، فهذا شخص قد أوقع نفسه الخبيثة فى جبال من نار، وإذا علمت زوجته أو سريته بذلك أو من يخدمه وجب عليها التبرئ منه، ومن فعله الخبيث، ولا يخلصها عند الله ، إلا الفرار والخلاص منه.

وقول بعض النساء: أنا ما على فى ذمة الذى يجئ به زوجى أو سيدى، هذا ما يقوله إلا من أتعسها الله تعالى ، وألقاها فى المهالك وأسبابها.

فإن دين الله حق وصدق ، لا شك فيه ولا ريب وقد نهى الله تعالى عن الظلم ، وبعث رسول الله ﷺ بذلك ، وفعل هؤلاء الظلمة ، من أخذهم أموال الناس بالباطل حرام، فى دين اليهود والنصارى المتعبدين بالقذر، وحتى فى دين المجوس، وعند كل ملة.

فالحذر : يا نساء المؤمنات من ذلك فما أقرب الموت وما أشد أهوال الآخرة وأنا والله لكن ناصح أمين، والحمد لله رب العالمين، وقد ذكرت فى كتابى " **قمع النفوس** " ، شيئاً له وقع، فينبغى سماعه، فإنه إن شاء الله مفيد، والله أعلم.

* * *

ومنهن :

٢٠- مليكة بنت المنكدر

وهى من عابدات المدينة النبوية.

قال مالك بن دينار : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة فى الحجر ، وهى تقول: أتيتك من شقة بعيدة، مؤملة لمعروفك، فأنلنى معروفاً من معروفك، تغنينى به عن معروف من سواك، يا معروف بالمعروف، فعرفت أيوب السختيانى، فسألها عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قولى خيراً يرحمك الله تعالى، فقالت: وما أقول، أشكو إلى الله عز وجل قلبى وهواى، فقد أخبر أبى عن عبادة ربى قوماً فإنى أبادر صحيفتى قال أيوب: فما حدثت نفسى بامرأة قبلها، فقلت: لو تزوجت رجلاً يعينك على ما أنت عليه، فقالت: لو كان مالك بن دينار، أو أيوب السختيانى ما أردته، فقلت: أنا مالك بن دينار، وهذا أيوب، فقالت: أف! لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عز وجل عن محادثة النساء، وأقبلت على صلاتها.

قال البراء: كلمناها فى تخفيف بعض العبادة، فقالت: دعونى أبادر صحيفتى.

***



ومنهن :

٢١- فاطمة بنت محمد بن المنكدر

قال إبراهيم بن مسلم القرشي: كانت فاطمة هذه نهارها صائمة، فإذا أجنها الليل تنادى بصوت حزين: هذا الليل قد اختلط الظلام ، وأوى كل حبيب إلى حبيبه، وخلوتى بك أيها الحبيب أن تعتقنى من النار، رضى الله عنها.

***

ومنهن :

٢٢- عابدة كانت بمكة

سمعت وهى تقول: ياسيد الأنام ، هذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك، يا حبيب الأوابين ، يا ذا المنن ، زدنى بالثقة منك وصلاً، واجعل قراى منك عتق رقبتى ، وأقر عينى برضاك.

فلما كانت بالموقف ، قالت : تبطئنى الأيام يا سيد الأنام ، كحلت عينى بملوز الحزن ، فوعزتك لا نعمت بضحك أبداً حتى أعلم أين قرارى ، وإلى أين تصير دارى؟ والله أعلم.

***

ومنهن :

٢٣- عائشة المكية

* قال أبو عبيد القاسم بن سلام: دخلت مكة وربما كنت أقعد بحذاء الكعبة، وربما كنت أستلقى ، وأمر رجلى ، فجاءتنى عائشة المكية وكانت من العابدات ، ممن صحب الفضيل بن عياض ، فقالت: يا عبد الله ! إنك عالم اقبل منى كلمة ، لا تجالسه إلا بأدب ، وإلا فيمحوا اسمك من ديوان القرب، والله وأعلم.

***

ومنهن :

٢٤- إبنة أبى الحسن

وكانت مقيمة بمكة ، وكانت لا تقتات إلا بثلاثين درهماً يبعثها إليها أبوها فى كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص، وكان التمار جاراً له فقال : جئت أودعه للحج ، وأستعرض حاجته، وأسأله أن يدعو لى ، فسلم إلى قرطاساً، وقال: اسأل فى مكة فى الموضع الفلانى عن فلانه ، وسلمه إليها فعلمت أنها إبنته ، فلما جئت مكة سألت عنها فوجدتها فى العبادة، والزهد،أشد اشتهاراً من أن تخفى ، فانبعثت نفسى أن يصل إليها من مالى شئ يكون لى ثوابه، وعلمت أننى إن دفعت إليها ذلك لم تأخذه ، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهماً، ورددته كما كان وسلمته إليها، فقالت: أى شئ خبر أبى! فقلت بسلامة! فقالت بالله وبمن حججت إليه !

أسألك عن شئ فتصدقنى ؟! قلت: نعم ! فقالت : أخلطت هذه الدراهم بشئ من عندك؟! فقلت : نعم ! فمن أين علمت ذلك ! فقالت: ما كان أبى يزيده على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا يحتمل ، ثم قالت: خذ الجميع عققتنى من حيث ظننت أنك تبرنى ، فقلت: ولم فقالت: لا آكل شيئاً ليس هو من كسبى، وكسب أبى، ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو ، فقلت: خذى ما أنفدك أبوك وردى الباقى، فقالت: لو عرفتها بعينها لأخذتها ، ولا آخذ شيئاً وأنا أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل ، لأنها كانت قوتى طول السنة، وقد أجعتنى، ولولا أنك ما قصدت إذ أنى لدعوت عليك ، قال : فاغتممت لذلك، وعدت إلى البصرة ، وجئت إلى أبيها فأخبرته واعتذرت إليه ، فقال: لا آخذها ، وقد اختلطت بغير مالى، وقد عققتنى وإياها، فقلت: ما أصنع بالدراهم ! فقال: لا أدرى فمازلت مدة أعتذر إليه ؛ وأسأله ما أعمل بالدراهم ، حتى قال بعد مدة : تصدق بها ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٢٥- عابدة بمكة

وكان قد فتح عليها بالكلام النافع.

قال المغازلى: قد حملنا عليها ذات يوم لننتفع بكلامها ، فبكت بكاءً طويلاً ثم أقبلت علينا وقالت : يا إخوتى ! مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم ، وردوا على أنفسكم ما قد تقدم عن أعمالكم ، فما ظننتم أنه يجوز فى ذلك فارغبوا إلى السيد فى قبوله، وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد فى ذلك

اليوم عليكم حيث لا يوجد البذل ولا يقدر على الفداء، ثم بكت طويلاً ثم أقبلت علينا وقالت: يا إخواني ! فما صلاح الأبدان وفسادها ، حسن النية وسوءها، إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم لــه ، وانقطاعهم إليه، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم تحكم الخوف قلوب أهله فاقتطعهم، وشغلهم عن الشهوات واللذات، وبقدر ما تعرضون عن الله تعالى يعرض عنكم ، وبقدر ما تقبلون على الله تعالى يقبل عليكم ، ويزيدكم من فضله، إنه واسع كريم، والله أعلم.

***

ومنهن :

٢٦- عابدة بمكة

قال ابن أبي داود : كانت تُسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، فماتت فلما بلغت القبر أختلست من أيدي الرجال، والله أعلم.

***

ومنهن :

٢٧-عابدة بمكة

قال أبو الحسن الرام : وكان من خيار الناس قال: كانت امرأة بمكة يأتيها العباد ، فيتحدثون عندها، ويتواعظون، فقالت لهم: حجبت قلوبكم الدنيا عن الله عز وجل، فلو خليتموها لجالت في ملكوت السموات والأرض، ولأتتكم بطرائف الفوائد، والله أعلم.

ومنهن :

٢٨- عابدة بمكة

قال محمد بن بكار : دللت على امرأة بمكة من قريش تأوى فى سرب ليس لها بيت غيره، فقيل لها: أترضين بهذا ؟ فقالت: أو ليس هذا لمن يموت كثير! والله أعلم.

وقيل: لما كانت تقتات الشعير وتلبس خشن الثياب: ما هذا ؟

فقالت: (من الطويل)

لقد نادت الدنيا بأفصح منطقٍ لقد صدقتْ فيما إليه تشيرُ

ألا إن قرصاً من شعير وخرقةٍ من الخام فى عبدٍ يموت كثيرُ

***

ومنهن :

٢٩- خنساء وليست الصحابية

وكانت من عابدات اليمن، وكانت ذات حسن وجمال ، كأنها بدنة ، فصامت أربعين سنة حتى لصق جلدها بعظمها ، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أقعدت من رجليها.

وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها، مع علمها.

وكانت إذا جنّ عليها الليل ، وهدأت العيون ، وسكنت الحركات ، تنادى بصوت حزين: يا حبيب المطيعين، إلى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب، أبعثهم حتى تنجز موعدك الصادق، الذى أتعبوا له أنفسهم وأنصبوها ، فيسمع البكاء من الدور حولها، والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٠- سوية

قال رجل من قريش : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن، يقال: سوية نزلت فى بعض رباعنا فكنت أسمع لها من الليل نحيبا ، فقلت للخادم: أشرفى على هذه المرأة : فانظرى ما تصنع ؟ فأشرفت: فإذا هى قائمة مستقبلة القبلة، فقلت: اسمعى ما تقول، فقالت : ما أفهم كثيراً من قولها ، غير أنى اسمعها تقول: أراك خلقت سوية، من طينة لازبة ، وغمرتها بنعمك وأحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالثبوت على معاصيك ، غلتة فى أثر فلتة ، أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعلها [السابغة] بلى ! أو أنت على كل شئ قدير ، ثم صرفت، وسقطت، فنزلت الجارية : وأخبرتنى بسقطتها، فلما أصبحت نظرنا: فإذا هى قد ماتت رحمة الله عليها. والله أعلم.

***

ومنهن :

٣١- جوهرة العابدة البراثية

نزلت براثاً مع زوجها ، قالت لزوجها يوماً:

يا أبا عبد الله النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها ؟! قلت: نعم ! فصاحت صيحة غش عليها ، فلما أفاقت قلت: ما هذا الذى أصابك ؟ قالت : ذكرت حالى بذلك ، وما كنت أصبت ! فخشيت والله حرمان الآخرة.

أشارت رضى الله عنها إلى حالها من الترفه ، والسعة من الحلى ، والأقمشة ، وغيرها ففزعت أن يكون ذلك حظها ، وقد عجل لها ذلك فى الدنيا.

وهكذا كن وكانوا : ولهذا قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان من سادات الصحابة وقد قرب له طعام ليأكله وكان صائماً: قُتل مصعب بن عمير وهو خير منى ، فكفن فى بردة، إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدت رأسه ، وقتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط.، وأعطينا، ونخشى أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام ، والله أعلم.

قال زوج جوهرة: رأت جوهرة فى منامها خياماً مضروبة، فقالت : لمن هذه الخيام؟!قيل: للمتهجدين بالقرآن ، فكانت بعد ذلك تقول:

[أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساءها] (١).

---

(١)ما بين [ ] سقط من [أ] وهو بيت شعر من الكامل.

كان زوج جوهرة من الزهاد العباد ، وكان يجلس على حصير خوص نجرانية، وكانت زوجته جوهرة تجلس بحذائه على أخرى مثلها، مستقبلة القبلة، قال بعضهم: فأتيناه يوماً فوجدناه جالساً على الأرض ، فقلنا له : يا أبا عبد الله ما فعلت الحصير التى كانت تحتك ؟! فقال: إن جوهرة أيقظتنى البارحة، فقالت: أليس يقال: إن الأرض تقول: لابن آدم : تجعل بينى وبينك ستراً، وأنت غداً فى بطنى ، فقلت: نعم فقالت: أخرج عنا هذه الحصير ، لا حاجة لنا فيها ، فقمت والله فأخرجناها والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٢- زوجة أبى شعيب العابد

قال الجنيد: كان أبو شعيب يتعبد فى كوخ ، فمرت ببابه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا ، وكانت قد تربت فى قصور الملوك ، فنظرت إلى أبى شعيب إذ استحسنت حاله، وما كان عليه ، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد من الدنيا ، والاتصال بأبى شعيب ، فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون خادمة لك ، فقال: إن أردت ذلك فغيرى من هيأتك، وتجردى عما أنت فيه حتى تصلحى لما أردت ، فتجردت عن كل ما تملك، ولبست لبسة النساك أى العباد، وحضرته فتزوجها ، فلما رأت الكوخ رأت قطعت خصاف كان يجلس عليه يقيه من الندى ، فقالت: ما أنا بمقيمة فى الخص حتى تخرج ما تحتك، فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها، فمكثت معه بسنين كثيرة رضى الله عنهما ، والله أعلم.

هكذا كن: يتركن الدنيا لأجل الآخرة ونعيمها المقيم ، ويتركن الترفه ويعدلن إلى خشونة العيش ، بعكس نساء زماننا الخملات الذى شأنهن ورأبهن فى الترفه والتوسع من هذه المزبلة ، سواء كان من حلال أو حرام.

فكأنى بكن! وقد استل ملك الموت أرواحكن استلالا عنيفاً، فذقتن غصص سكرات الموت، وضيق القبور، وشدائد الحساب، منذ متن حين لا ينفع الندم، فالبدار البدار يا نساء المؤمنات ! إلى ما يحمى من عذاب النار وغضب الجبار ولا تستهجى ما سلف فإنه غفار ستار، والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٣- أخوات بشر [الحافى] رضى الله عنه

وكن ثلاثاً : مضغة: وهى الكبرى ، ومخة ، وزبدة، وكانت مضغة : أكبر من بشر ، فماتت قبله فتوجع عليها توجعاً شديداً ، فقيل لـــه فى ذلك، فقال: قرأت فى الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه، وفى رواية فى طاعة ربه سلبه من يؤنسه، وكانت رضى الله عنها : صوامة، قوامة ، ورعة ، قالت: تعلمت الورع من أختى ! فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

قال عبد الله بن الإمام أحمد رضى الله عنه: كنت مع أبى يوماً من الأيام فى المنزل فدق داق الباب ، فقال لى: اخرج فانظر من بالباب ؟ فخرجت فإذا امرأة ، فقالت: استأذن لى على أبى عبد الله قال: فاستأذنته فقال:

أدخلها قال: فدخلت فقالت: يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل على السراج، فربما طفيء فأغزل فى القمر ، فهل علىّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج، فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبينى ذلك، ثم قالت : يا أبى عبد الله أنين المريض شكوى ؟! فقال: أرجو أن لا يكون شكوى ! ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل ثم ودعته، وخرجت ، فقال لى: يا بنى ما سمعت إنساناً قط سأل عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟! قال: فتبعتها! فإذا هى دخلت فى بيت بشر بن الحارث، وإذا هى أخته، فرجعت وقلت له ذلك، فقال: محال أن يكون مثل هذه إلا أخت بشر وكانت هذه أخته مخة.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: جاءت هذه مخة إلى أبى فقالت : إنى امرأة رأس مالى دانقتين أشترى القطن فأغزله، فأبيعه بنصف درهم فأتقوت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمر [ابن طاهر] الطائف ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المصالح، فاستغممت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عنى المشعل ! فعلمت أن لله فىّ مطالبة بذلك ، فخلصنى خلصك الله عز وجل ، فقال لها : تخرجين الدانقين وتبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله عز وجل، قال عبد الله : فقلت لأبى : لو أمرتها فأخرجت الغزل الذى أودجت فيه الطاقات ، فقال : يا بنى إن سؤالها لا يحتمل التأويل.

قال عبد الله البردانى : كانت هذه مخة تقصد الإمام أحمد وتسأله عن الورع ، والتقشف ، وكان الإمام أحمد يعجبه مسائلها.

وأما زبدة فلها كلام حسن نافع ، قال السلمي : قالت زبدة : أثقل شئ على العبد الذنوب ، وأخف شئ عليه التوبة ، فماله لا يدفع أثقل شئ بأخف شئ. والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٤ – امرأة أبى الفرج العابد

قال أبو بكر الآجرى : بلغنى عن أبى الفرج العابد أنه لما مات ! لم تعلم زوجته إخوانه بموته ، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه فى علته، فغسلته ، وكفنته فى كساء ، كان لــه وأخذت فردة باب من أبواب بيته ، وجعلته فوقها ، وشرطات بشريط ، ثم قالت لإخوانه : أنه قد مات ، وقد فرغت من جهازه ، فدخلوا وحملوه إلى قبره ، وأغلقت الباب خلفهم ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٥– ميمونة أخت إبراهيم الخواص

لأمه، وكانت سالكة مسلك أخيها فى الزهد ، والتقلل ، والورع ، والتوكل. دقَّ يومًا داقّ باب إبراهيم [الخواص] فقالت ميمونة : هذه من تريد؟! فقال: إبراهيم الخواص فقالت: قد خرج ! فقال: متى يعود؟ فقالت : من روحه بيد غيره يعلم متى يعود ، والله أعلم.

ومنهن :

٣٦- عابدة ببغداد

قال نوح الأسود: كانت امرأة تأتى أبا عبد الله البردانى فتجلس ، وتسمع كلامه ، ولا تكاد تتكلم، ولا تسأل عن شئ ، فقيل لها فى ذلك ؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره، إلا ما كان من ذكر الله عز وجل سبحانه والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك أمرؤ لا ينصح نفسه.

وجملة الأمر يا أخى إن أردت الله عز وجل بطاعته أرادك برحمته، وأن أردت سبيل الموعظين فلا تلم إلا نفسك غداً ، إذا حشرت فى زمرة الخاسرين ، ثم بكت وقامت.

قال: وسمعتها وهى تعظ لابنها ويحك يا بنى ! احذر بطالات الليل والنهار، فتنقضى مهالات الأعمار ، وأنت غير ناظر لنفسك ، ولا مستعد لسفرك، يا بنى مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك ، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهور ، وكيدة الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن، وتقلبها بالغير ، فعند ذلك يهتم التقى كيف ينجو من مصائبها ، بؤساً لك يا بنى إن عصيت الله عز وجل ، وقد عرفته وعرفت إحسانه ، وأطعت إبليس ، وقد عرفته وعرفت طغيانه، ورضى الله عنها.

* **هكذا كن** ! وأنتن ويحكن يا نساء زماننا ! ترين أولادكم يرتكبن الأهوال لحب هذه المزبلة ، والله ! ترونهم يرتكبون المعاصى ، ولا تنكرن عليهم ؟! بل فيكن والله ! من تعطيه ما يتقوى به على معاصى الله عز وجل ، بما أنعم عليكن به.



* **فكأنى بكن** ! وقد صار ما بذلته لهم جمراً على أجسامكن، وفى قبوركن، لاسيما مع علمنا بأن الأيتام والعجائز والزمنات لهم حاجة إلى ما يقيهم من الحر ، والبرد، والجوع، فالويل لكنَّ ، من مالك يوم الدين ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٣٧- عابدة ببغداد

وقال أبو الحسن البحرانى صاحب الخواص ! جاءت امرأة إلى الخواص فسألته عن تفتر وجدته فى قلبها وفى أحوالها، فقال لها : عليك بالتفقد، فقالت: قد تفقدت فما رأيت شيئاً ، فأطرق الخواص ساعة ثم رفع رأسه فقال: أما تذكرين ليلة المشعل ؟! فقالت: بلى فقال: هذا التغير من ذلك ، فبكت وقالت : نعم كنت أغزل على السطح ، فانقطع خيطى فمر مشعل السلطان فغزلت فى ضوئه خيطاً ، ثم أدخلت الخيط فى غزلى ونسجته قميصاً ولبسته ، ثم قامت إلى ناحية البيت فنزعت القميص ، وقالت : يا إبراهيم إذا بعته وتصدقت بثمنه يرجع إلى الصفاء ؟! فقال: إن شاء الله! والله أعلم.

وإذا كان هذا الجفاء قد حصل من خيط غزل فى ضوء مشعل سلطان ذلك الزمان، الذى كان العدل فيه ظاهر ، والحدود تقام فيه، وإذا ظلم فيه شخص أزال الحكام مظلمته، فكيف الحال اليوم؟

لا سيما المرأة المتزوجة من أعوان الظلمة كالعريف، والنقيب، وامرأة المحتسب، وامرأة الحاجب ، ونائب البلد، وقضاة البراطيل ! الذين أخذوا

فى السلوك فى طريق اليهود من الرثاء والبراطيل، وأخذ الأموال على وجه التعدية، وكذلك زوجة فقراء هذا الزمان لاسيما الفقير الذى يأخذ جوائز هذه الظلمة، وقد نصب نفسه شيخاً ، مربياً، يعظ الناس من كتب القوم ، قبَّحه الله وقاتله ، قطاع الطريق أحسن حالاً منه ، لأنهم يأخذون أموال الناس ويعتقدون أنهم عصاة ، وهؤلاء يأخذون أموال الناس بالباطل ويظهرون أنهم دعاة إلى الله تعالى ، كذبوا والله ! فى ذلك.

ولقد أجمع المسلمون: على أن الشخص إذا كان يظن به أنه سالك وهو ليس كذلك: فالذى يأخذه حرام لا نزاع فى ذلك ، ومن ظن منهم أنه سالك فلينظر فى كتاب الله عز وجل وفى السنن الشريفة: يجد الأمر كما ذكرنا فإن كان لا قدرة له على ذلك، فعليه بكتابنا "***سير السالك***" [١] ، ففيه ما أشرنا إليه وزيادة.

* وإذا عرفت أيتها المؤمنة الصادقة المحبة للخير ما ذكرنا: فبادرى إلى تخلصكى من هذه النيات القاطعة عن التلذذ بالعبادة ، بل المانعة من عدم قبولها ، ففى الحديث من رواية ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ:

قال: ((**من اشترى ثوباً بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام ، لم يقبل الله صلاته وعليه منه شئ**)). [٢]

رواه الإمام أحمد رحمة الله عز وجل عليه.

---

(١) أتم الله لنا تحقيقه.

(٢) ضعيف: رواه الإمام أحمد (٢/٩٨) ، وابن حميد فى "المنتخب"(٨٤٩).

إذا كان هذا فى ثوب فيه درهم حرام، فكيف الحال فى ثوب كله حرام ، كما تفعله هؤلاء الظلمة من الأخذ بالقهر والغلبة ، وكذا ما يرسله الشخص على وجه البراطيل أو يبعثه خوفاً من أن يطلب منه شئ أكثر من ذلك، فكل هذا وأشباهه حرام لا نزاع فيه بين المسلمين ، ومن اعتقد حل ذلك بعد العلم بما ذكرنا فهو كافر ، وقد خرج بذلك عن دين الإسلام ، وإن صام، وصلى، وحج، واعتمر.

وفى الحديث الصحيح : ((**أن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك**)). (١)

رواه مسلم ، أى كيف يستجاب له.

وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : أنه قال: ((**كل لحم نبت من الحرام ؛ فالنار أولى به**)). (٢)

رواه الترمذى من حديث كعب بن عجرة وحسنه ورواه أبو نعيم وأصله فى البخارى : من حديث عائشة رضى الله عنها.

وفى الحديث عليه الصلاة والسلام قال: ((**من لم يبال من أين اكتسب المال: لم يبال الله تعالى من أين أدخله النار**)).(٣)

---

(١) صحيح: مسلم (٢٦٢٢) ، (٢٨٤٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني (٥٧٥٩/٤) ، وأبو نعيم (٣١/١).

(٣) ضعيف : رواه الديلمى فى الفردوس (٩٢٧/١كنز).

وعن أبي برزة واسمه نضلة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره : فيما أفناه ، وعن ماله: من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه : فيما أبلاه**)).(١)

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾ [الزلزلة : ٤] قال: ((**أتدرون ما أخبارها**)) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم.

قال: ((**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها**)).(٢)

رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وما يفعله الجهلة ، وأشدّهم جهلاً: الظلمة الذين يأخذون أموال الناس بالباطل ، ثم يتصدقون منه، هم ، ونساؤهم ، وهم يظنون أنهم مثابون على ذلك ، ولعمري ! أنهم بصدقتهم يزدادون عذاباً ، لأنهم عصوا الله عز وجل بصدقتهم ، فأذوا أنفسهم، وآذوا الفقراء، لأنهم أطعموهم الحرام.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((**من اكتسب مالاً حراماً : فإن تصدق لم يقبل منه، وإن تركه وراءه : كان زاده إلى النار**)).(٣)

رواه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤١٦) ، (٢٤١٧).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٢/٣٧٤) ، والترمذي (٢٤٢٩ ، ٣٣٥٣).

(٣)ضعيف : رواه أحمد (١/٣٨٧) ، وابن حبان (٣٣٦٧)، وانظر المجمع للهيثمي (١٠/٢٩٣).

ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : ((**من جمع مالا من حرام ثم تصدق به: لم يكن له فيه أجر ، وكان إصره عليه**)).

ثم أن الفقير والفقيرة تدعو لأجل هذه الصدقة الخبيثة ، ويثنى على المتصدق بسبب ذلك، فيقع الفقير أيضاً فى أثر أعماله لجهله.

ففى الحديث: ((**من دعا لظالم بالبقاء : فقد أحب أن يعصى الله عز وجل فى أرضه**)).(١)

رواه ابن أبى الدنيا إلا أنه رواه من قول الحسن وهو الصواب ، نعم فى الحديث الصحيح: ((**أن الله عز وجل ليغضب إذا امدح الفاسق**)).(٢)

رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى وأبو يعلى وابن عدى.

ومما يتعلق بما ذكرنا من أخذ المال بالباطل : ما يفعله هذه التجار، والسوقة من غشهم ، وحلفهم الأيمان الكاذبة ، ليروجوا به سلعهم ، ويكذبوا فى الأخذ، والعطاء وهؤلاء لهم عذاب شديد أليم، والويل لهم من هذه الأفعال الخبيثة.

ففى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال:

((**من حلف على مال أمرءٍ مسلم بغير حقه ، لقى الله وهو عليه غضبان**)).(٣)رواه البخارى ومسلم.

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى "الصمت" (٢٣٠).

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى "الصمت" (٢٢٨) ، (٢٢٩) والبيهقى فى "الشعب" (٤٨٨٦/٥)، وابن عدى فى "الكامل" (٤٦٦/٣) عن أنس مرفوعاً..

(٣) صحيح : البخارى (٢٣٤/٣) ، ومسلم (٨٦/١).

وفي الحديث : ((**من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله عز وجل له النار ، وحرم عليه الجنة** ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله فقال ﷺ: ((**وإن كان قضيباً من أراك**)).[1]

رواه مسلم.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه ﷺ قال:

((**من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا**)).

رواه مسلم.

وفي رواية: أنه ﷺ : مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده الكريمة فيها، فنالت أصابعه بللاً ، فقال: ((**ما هذا يا صاحب الطعام**)) ؟! فقال : أصابته السماء يا رسول الله قال: ((**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟! من غشنا فليس منا**)) وهذا وأمثاله كثيرة.

فالمرأة الموفقة تتعظ بدون ذلك ، ولتحرص على خلاصها، وفكاكها ، من العذاب ، فالموت قريب ، والحساب شديد.

قال الله عز وجل ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾

[الحج: ٢،١] والله أعلم.

***

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٦٩/١).



ومنهن :

٣٨- عابدة كانت ببغداد

إذ رجل تاجر له ثروة فبينما هو فى حانوته ، إذ أقبلت صبية، فطلبت منه شيئاً تشتريه ثم كشفت عن وجهها ، فنظر إليها ، فتحير من حُسنها ثم قالت له: والله ما بى ريبة ! وإنما أردت أن أتزوج بخير ، وقد وقعت من قلبى، فهل لك فى ذلك؟! فقال: إن لى ابنة عم ، وهى زوجتى ، وقد عاهدتها أن لا أغيرها ، ولى منها ولد، فقالت: رضيت أن تجئ إلى فى الأسبوع نوبتين فرضى ، وقام معها وعقد العقد، ومضى إلى منزلها ، فدخل بها ، ثم جاء إلى منزله ثم قال لابنة عمه: إن بعض أصدقائى سألنى: أن أكون الليلة عنده، وكان يمضى كل يوم بعد الظهر إليها ، فبقى على هذا ثمانية أشهر ، فانكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجاريتها: إذا خرج فانظرى أين يمضى ؟! فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان ، فلما جاءت الظهر قام ، فتبعته الجارية وهو لا يدرى، إلى أن دخل بيت تلك المرأة ، فجاءت إلى الجيران فسألتهم: لمن هذه؟! فقالوا: قد تزوجت برجل بزاز، فعادت إلى سيدتها ، فأخبرتها الخبر ، ثم قالت للجارية :إياك أن يعلم بهذا أحداً ، ولم تُظهر شيئاً لزوجها، فأقام الرجل تمام السنة على ذلك ، ثم مرض ، ومات فى بيت ابنة عمه، وخلف ثمانية آلاف دينار ، فقامت ابنة عمه فأفردت ما يستحقه الولد وهو سبعة آلاف وقسمت الألف الباقية نصفين وجعلت النصف فى كيس ، وقالت للجارية : خذى هذا الكيس واذهبى الى بيت المرأة ، وأعلميها أن الرجل قد مات ، وخلف ثمانية آلاف دينار ، وقد أخذ الابن سبعة ، وبقيت

ألف قسمتها بينك وبينها ، وهذا حقك ، فمضت الجارية فطرقت الباب ودخلت، فأخبرتها خبر الرجل ، وحدثتها بموته ، وأعلمتها الحال : فبكت، ثم فتحت صندوقًا وأخرجت منه رقعة يعني ورقة ، وقالت : عودى الى سيدتك وسلمى عليها منى وأعلميها أن الرجل طلقنى ، وكتب لى برآءة وردى عليها هذا المال، فإنى ما استحق منه شيئًا فرجعت الجارية وأخبرتها بذلك رضى الله عنهما والله أعلم .

***

ومنهن :

٣٩- أم حسان الكوفية

وكان سفيان ، وابن المبارك ، وغيرهما من السادات يزورونها وكانت صاحبة اجتهاد وعبادة .

قال ابن مبارك : دخلت أنا ،وابن سفيان بيتها ، فلم نر فيه شيئًا غير قطعة حصير خلق ، فقال لها سفيان الثورى : لو كتبت رقعة الى بعض بنى أعمامك لغيروا من سوء حالك ، فقالت له : يا سفيان ، قد كنت فى عينى أعظم ، وفى قلبى أكبر ، منذ ساعتك هذه أنى ما أسأل الدنيا من يقدر عليها! ويملكها ويحكم فيها ! فكيف أسال من لا يقدر ولا يقضى ولا يحكم فيها يا سفيان ! والله ما أحب أن يأتى علىَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله تعالى ، فأبكت سفيان .

قال ابن مبارك : فبلغنى أن سفيان تزوج بها ، والله أعلم .

***

ومنهن :

٤٠ – أم سفيان الثورى

قال وكيع : قالت أم سفيان : يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى، يا بنى: اذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى مشيك، وعملك ، ووقارك ، فإن لم تر ذلك : فاعلم أنه يضرك ،ولا ينفعك ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٤١ – أم الحسن وعلىّ

وكانت تقوم ثلث الليل ، والآخر والثالث ، الثلث الأخير ، وكانت تبكى الليل والنهار ، من خشية الله تعالى.

قال رجل : فرأيت الحسن بعد موته فى المنام فقلت : ما فعلت الوالدة ؟ فقال: بدلت بذلك البكاء سرور الأبد والله اعلم.

***

ومنهن :

٤٢ – أخت فضيل ابن عبد الوهاب

قال فضيل: سمعت أختى تقول: الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل منهم يطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفراً، يكون فيه تعب بدنه وتلاف ما

له ثم لا ينال بغيه، والرجل يطلب الآخرة: فمنتهى طلبه فى حسن نيته، حيث ما كان من غير أن ينشئ سفراً ، أو ينفق مالاً أو يتعب بدناً، ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله عز وجل، فإذا هو قد أدرك ما عند الله تعالى ، وسمعتها تقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من هذه الأبدان، فانظروا ! أى عبيد تكونون حينئذ، قال: ثم خرجت ، وغشى عليها، ثم قال: ما رأيت رجلاً، ولا أمرأة أطول حزناً منها، يعنى ! من خوف الآخرة . والله أعلم.

***

ومنهن :

٤٣ - عابدة من نساء الكوفة

وكانت فى زمن الربيع بن خيثم، وكانت ذا جمال بارع ، فقال لها قوم: لو تعرضت للربيع لعلك تفتنيه، ولك إن فعلت ذلك ألف درهم ! فقالت: نعم ! فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب الحسان، وتطيبت بأحسن ما قدرت عليه من الطيب، ثم تعرضت له حين خرج من المسجد ، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت إليه وهى سافرة وجهها، فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ، أم كيف بك لو قد نزل ملك الموت فقطع منك حبل الوتين، أم كيف بك لو قد سألك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة سقطت مغشياً عليها.

فوالله ! لقد أفاقت وشرعت فى العبادة، حتى أنها بلغت فى عبادة ربها : انها يوم ماتت كأنها عود يحترق.



ومنهن :

٤٤- عابدة فى الكوفة

دخل عليها شخص من ولد ابن أبى ليلى وهو يقرأ فى سورة هود عليه السلام ، فقالت: أهكذا تقرأ سورة هود إنى لفيها منذ ستة أشهر، وما فرغت قراءتها.

وكانت امرأة أخرى من بنى تميم مجتهدة فى العبادة وكانت تفطر فى كل ثلاث مرة ، ولا تخرج من مسجد الحىّ إلا لحاجة، فقال لها إبراهيم التيمى: صلاتك فى بيتك أفضل من صلاتك فى مسجد الحىّ، ففعلت ولزمت بيتها فلم تزدد إلا خيراً، والله أعلم.

***

ومنهن :

٤٥- عابدتان وكانتا أختين

قال أبو بشر: كانت جارة لمنصور بن المعتمر، وكان لها ابنتان لا يصعدان إلى السطح ، إلا بعد أن ينام الناس، فقالت احداهما : يا أمتاه ! ما فعلت القائمة التى كنت آراها على سطح فلان ؟! فقالت: يا بنيه ! لم تكن قائمة إنما كان من ذلك منصوراً يحيى الليل كله فى ركعة! لا يركع فيها ولا يسجد فقالت : يا أماه ! بلغ به الفرق من النار هذا؟! فما فعل ؟! فقالت: يا بنية مات، قالت: يا أماه ! انطلقى فاشترى لى مدرعة أتعبد فيها ، فوالله لا يجتمع رأسى ورأس رجل أبداً، رجل لا ينام عشرين سنة فرقاً من النار ،

فاشترت لها مدرعة من شعر فدخلت البيت ودخلت أختها معها فى العبادة ، فتعبدتا بعد ذلك عشرين سنة لا ينامان الليل، ولا يفطران النهار ، رضى الله عنهما وعن أمهما التى أعانتهما على عبادة ربهما، فهذه هى الأم الحنونة، المساعدة على الخير، الدافعة عن بناتها النار.

بخلاف: نساء زماننا ، الغاشات لأنفسهن ، وأولادهن.

فكأنى بهن ! وقد تناثرت لحومهن، وسعت الديدان فى خدودهن، وشعورهن، وتتابعت عليهن الأفاعى، وغير ذلك فيندمن حين لا ينفعهن الندم.

اللهم سلم من ذلك فما أصعبه وأشد هوله.. والله أعلم.

***

ومنهن :

٤٦ - عابدة

وكان قد فتح عليها فى الكلام النافع.

وكان سفيان يذكر عبادتها وفضلها ، قال له عبد الله بن الزبير : ما تحفظ من كلامها ؟ قال: كانت تقول: طول الأمل يبطأ عن سبيل النجاه والله أعلم.

***



ومنهن :

٤٧- عابدة بالكوفة

وكانت موسرة ، وكانت لا تنام الليل إلا يسيراً ، فعوقبت فى ذلك فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقاداً ، وكانت تصوم فى شدة الحر حتى يسود لونها، ويتغير وجهها، فيقال لها فى ذلك فتقول: إنما أدور على طول الرى، والشبع فى الآخرة ، وكانت بكت حتى أسودت مجارى دموعها من وجهها.

وكان يأتيها محمد بن النضر وأصحابه ، فتقول: قوموا ! فالحديث هناك يطيب في دار لاهم فيها ، ولا موت ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٤٨- ميمونة السوداء

وكانت بهلولة،

قال الفضيل بن عياض : قال عبد الواحد بن زيد: سألت الله تعالى ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى: رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت: وأين أجدها ؟! فقيل: فى آل فلان بالكوفة ، فخرجت إلى الكوفة، فسألت عنها فقيل ! إنها مجنونة ترعى غنيمات لنا، فقلت: أريد أن أراها فقالوا: اخرج إلى الجبال فخرجت فإذا بها قائمة تصلى وبين يديها عكازة، وعليها جبة من صوف ، مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى ، وإذا غنم مع

الذئاب، فلا الذئاب تأكل الغنم ، ولا الغنم تخاف من الذئاب، فلما رأتنى أوجزت فى الصلاة ، ثم قالت : ارجع يا بن زيد ليس الموعد هاهنا، إنما الموعد ثمّ، فقلت: يرحمك الله ! ومن أعلمك أنى ابن زيد ؟!

فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فقلت لها: عظينى ، فقالت: واعجباه الواعظ يوعظ ثم قالت : يا ابن زيد ! بلغنى أنه من ما من عبد أعطى من الدنيا شئ فابتغى إليه ثانياً ، إلا سلب الله حب الخلوة معه ، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة ، فقلت: لا أرى هذه الذئاب مع الغنم فأى شئ ؟! فقالت: إليك عنى ! فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى، فأصلح بين الذئاب والغنم. والله أعلم.

* * *

ومنهن :

٤٩- معاذة بنت عبد الله العدوية

وتكنى أم الصهباء وهى من عابدات البصرة قال محمد بن فضيل : قال أبى: كانت معاذة العدوية إذا جاءها النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فلا تنام حتى تمشى ، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق، حتى يمنعها البرد من النوم.

قال الحكم بن سنان: حدثتنى امرأة كانت تخدم معاذة قالت: كانت تحيى الليل صلاة فإذا غلبها النوم: قامت فجالت فى الدار وهى تقول: يا نفسى

النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك، في القبور على حسرة أو سرور ، فهي كذلك حتى تصبح ، وكانت تصلي كل يوم وليلة ستمائة ركعة، وتقرأ جزئها من الليل تقوم به ، وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في القبور.

كانت معاذة لها ابن وزوج، فخرجا إلى الغزاة ، فقال له أبوه: أي بني أتقدم فقاتل حتى أحتسبك ، فحمل على الكفار ، فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم أبوه ففعل كذلك ، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة ، فقالت : مرحباً إن كنتن جئن لتهنيني ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن رضي الله عنها.

* **هكذا كن رضي الله عنهن!** يفرحن بما يحبه الله ورسوله ، ويرونه فرحاً وسروراً ، وأنتن يا نساء زماننا ! ترين ذلك مصائب ، فتجزعن لذلك جزعاً شديداً ، حتى ترتكبن العظائم من أمر الجاهلية ، فلهذا كان جزاؤكن ما حذر منه رسول الله ﷺ .

ففي الحديث الصحيح من رواية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**» [١].

رواه مسلم.

وعن أبي بردة رضي الله عنه قال: وجع أبو موسى الأشعري فغشي عليه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً

---

(١) صحيح: مسلم (٩٣٤/٢) ، وأحمد (٣٤٤/٥).

فلما أفاق قال: أنا برئ ممن برى منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة.

رواه البخارى ومسلم.

وأى مصيبة أعظم على المرأة من أن يتبرأ منها رسول الله ﷺ هذه أعظم من موت أولادها والمصيبة بفوات الآخر أيضاً عظيمة وربما تمادى بها ذلك فوقعت فى كلمة هبطت بها فى النار سبعين خريفاً وربما كانت تتضمن كفر وهى لا تعلمها لقلة علمها وتعلمها من الجهلة فتكفر فتحسر نفسها فى مصيبتها وتقع بذلك فى العذاب الذى لا آخرله عافانا الله عز وجل من ذلك والله أعلم.

والصالقة: هى التى ترفع صوتها بالنياحة والندب كما تقول: واعضداه وابصراه ونحو ذلك.

من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه وأسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكين يلهزمانه أهكذا أنت**».

رواه الترمذى وقال : حديث حسن.

اللهز: اللكم باليد مطبوقة فى الصدر ، كذا يفعلان الملكمان بالميت ، فعاد شؤم النائحة عليها ، وعلى ميتها.

* فالحذر الحذر ! من ذلك يا نساء زماننا ! والله أعلم.

الحالقة: هى التى تحلق رأسها عند المصيبة.

والشاقة: هى التى تشق ثوبها ، والله أعلم.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

((**الميت يعذب فى قبره بما ينح عليه**))

رواه البخارى ومسلم.

وقد أجمعت المسلمون على تحريم النياحة ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة.

ففى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه ﷺ قال:

((**ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**)) (١).

ولا خلاف أنه يحرم نشر الشعر ، وضرب الخد والصدر ، وخمش الوجه وتسود الحال بالرماد ونحوه ، ومن فعل ذلك فهو ملعون ، وكذا من حضره وأعان عليه، أو استمع النياحة.

ففى سنن أبى داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**لعن النائحة والمستمعة**))(٢).

وكما تحرم النياحة ، كذا يحرم رفع الصوت فى البكاء ويلحق الم يت من عذاب إلا أن لا يرضى.

ففى الأحاديث الصحيحة أن الميت يعذب ببكاء أهله ، وهى محمولة على ما إذا أوصى ، أو كان له سبب فى ذلك.

وأما دمع العين ، وحزن القلب ، فهو معفو عنه.

ففى الحديث الصحيح أنه ﷺ : قال ((**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا ، أو يرحم وأشار إلى لسانه**))(٣).

رواه البخارى ومسلم.

وفى حديث أسامة بن زيد أنه ﷺ رفع إليه ابن لبنته وهو فى الموت ، ففاضت عيناه ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله ؟! فقال : ((**هذه رحمة جعلها الله عز وجل فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**)) والله أعلم ، ويجوز نصب الرحماء على أنه مفعول يرحم ، ويجوز ضمها على أنه خبر إن ، ويكون ما بمعنى الذى. والله أعلم.

ويجوز البكاء على الميت بعد موته ، وقبله ، وقبله أولى لقوله ﷺ: ((**فإذا وجبت فلا تبكين باكية**)).

ولهذا الحديث قال أصحاب الشافعى : أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ، ولا يحرم ، وقد نص الشافعى رضى الله عنه: على الكراهية والله أعلم.

وهذه معاذة تابعية أدركت عائشة رضى الله عنها، وروى عنها الحسن وأبو قلابة وغيرهما، رضى الله عنها . والله أعلم.

***

---

(١) صحيح : البخارى (١٢٩٧)

منهن:

٥٠- حفصة بنت سيرين

وهى سيدة جليلة لم تزل تحرض الناس على الخير، والعبادة ، وقراءة القرآن، وهى ابنة اثنتى عشرة سنة.

قال مهدى بن ميمونة : مكثت حفصة فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة ، وسئلت عنها امرأة فارسية فقالت بلسانها : إن حفصة امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً ، فقيل : لم ؟! قالت لأنها تبكى الليل كله وتصلى، وكان وردها كل ليلة نصف ختمة، وكانت تصوم الدهر كله لا تفطر إلا العيدين، وأيام التشريق ، وكانت إذا أسرجت سراجها ، وقامت تتعبد فينطفئ ، فيضئ لها بيتها ، حتى تصبح.

ماتت وهى بنت تسعين سنة ، رضى الله عنها، والله أعلم.

وكان لحفصة ابن يكرمها ، ويبالغ فى إكرامها ، وبرها، قالت: أريد أن أقول له يا بنى اذهب إلى أهلك ، فاذكر ما تريد فأدعه ، فلما مات رزقه الله تعالى من الصبر ما شاء الله أن يرزق، غير أنى كنت أجد غصة لا تذهب ، قالت: بينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذا أتيت على هذه الآية: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفذ وما عند الله باق وليخزين الذين صبروا بأحسن ما كانوا يعلمون**﴾ [النمل : ٩٦] قالت: فاعدتها فأذهب الله عز وجل عنى ما كنت أجد.

وكان من جلة برها أن يأخذ الحطب: فينزع القشر، ويبسى اللب، فإذا جاء وقت البرد وقده عندها لئلا يؤذيها دخان القشر.
وكان لحفصة أخت اسمها كريمة، وكانت خيرة ، جلست فى مصلاها خمسة عشر سنة ما تخرج إلا لحاجة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٥١- رابعة العدوية

وكانت بالبصرة ، وكانت عجوزاً كبيرة، بنت ثمانين سنة كأنها الشن تكاد تسقط ، وتحتها بارية كانت إذا ذكرت الموت إنتقضت ، وأصابتها الرعدة، قال مسمع ورباح: أتاها رجل بأربعين ديناراً ، فقال: استعينى بهذه الدنانير على بعض حوائجك فبكت ، ثم قالت: هو يعلم أنى أستحى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها ؟!
قال عبد الله بن عيسى: دخلتُ على رابعة فرأيت على وجهها النور ، وكانت كثيرة البكاء ، فقرأت آية فيها ذكر النار فسقطت ، وسمعت وقع دموعها على البادية ، مثل الوكف ، وصاحت فقمنا، وصرخنا.
وكانت رضى الله عنها إذا مرت بقوم: وعرفوا فيها العبادة، فقال لها رجل: ادعى لى فتلتصق بالحائط ، وتقول : ما أنا يرحمك الله عز وجل أطع ربك وادعه ! فإنه يجيب المضطر.
قال ابن منصور : دخلت على رابعة وهى ساجدة ، فلما أحست بمكانى رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها ،

فسلمت ثم أقبلت عليّ وقالت : يا بنى ألك حاجة ؟! فقلت : جئتك لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت : سترك اللهم سترك ! ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت وقالت : استغفر الله عز وجل من قلة صدقى فى قولى، استغفر الله عز وجل، لله درها من امرأة ، ما أنور قلبها.

قال أزهر بن هارون : دخل على رابعة رباح القيسى ، وصالح بن عبد الجليل، وكلاب ، فتذاكر الدنيا فأقبلوا يذمونها ، قالت رابعة: إنى لأرى الدنيا برابيعها فى قلوبكم ، قالوا: ومن أين توهمت علينا ذلك ؟! فقالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه ، فقال لها شيخ من قريش : هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك ؟! فقالت: إن كان فمخافتى أن يرد على.

قال جعفر بن سليمان : أخذ بيدى سفيان الثورى وقال: مر بنا إلى المؤدبة التى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتنا ، فلما دخلنا عليها رفع سفيان يديه وقال: اللهم إنى أسألك السلامة ، فكيف رابعة فقال لها : ما يبكيك ؟! فقالت: أنت عرضتنى للبكاء ، فقال لها : وكيف ؟! فقالت : أما عملت أن السلامة فى الدنيا ترك ما فيها ، فكيف وأنت متلطخ بها ، فقال سفيان: واحزناه! فقالت: لا تكذب قله وأقله حزناه ! لو كنت محزوناً ما هناك العيش؟! قالت: يا سفيان إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل ، وأنت تعلم فاعمل.

كانت عبدة تخدم رابعة ، وكانت تقول عن رابعة : إنها تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة ، حتى يسفر الفجر، فكنت

اسمعها تقول: إذا وثبت من مرقدها وهى مفزعة ، يا نفسى كم تنامين ، وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور ، قالت عبدة : وكان هذا دأب رابعة دهرها حتى ماتت ، فلما حضرتها الوفاة قالت: يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحداً ، وكفنينى فى جبتى هذه، وكانت من شعر تقوم فيها، إذا هدأت العيون قالت: فكفناها فى تلك الجبة، وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة : فرأيتها بعد سنة أو نحوها فى منامى وعليها حلة إستبرق خضراً، وخمار من سندس خضر ، لم أر شيئاً مثله فقالت: يا رابعة ما فعلت الجبة التى كفناك فيها، والخمار الصوف ؟! فقالت : والله ! نزع منى! فأبدلت به هذا الذى ترينه على ، وطويت أكفانى ، وختم عليها ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة ، فقلت، لهذا كنت تعملين فى الدنيا، فقالت: وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه ، فقلت : فما فعلت عبدة بنت أبى حلاب؟ فقالت : هيهات هيهات والله سبقتنا والله إلى الدرجات العلى ، فقلت: وبم وقد كنت عند الناس أكبر منها؟ فقالت: لم تكن تبالى على أى حالة أصبحت من الدنيا وأمست؟ فقلت : ما فعل بشر ابن منصور ؟! فقالت : بخٍ بخٍ ! أعطى والله فوق ما كان يأمل ، فقلت فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل فقالت : عليك بكثرة ذكره: فيوشك أن تغبطى بذلك فى قبرك. والله أعلم.

***



ومنهن :

٥٢- عجردة العمية

من عابدات البصرة.

قال رجاء ابن مسلم العبدى : كنا نكون عند عجردة العمية فى الدار، قال: فكانت تُحيّ الليل صلاة، وربما تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان وقت السحر نادت بصوت لها مخزون: إليك قطع العابدون دُجى الليالى بتبكير الدُلج ، إلى ظلم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك ، وفضل مغفرتك ، فيك إلهى لا بغيرك ، أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعنى فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء يا كريم ثم تخر ساجدة ، فلا تزال تبكى ، وتدعو فى سجودها ، حتى يطلع الفجر، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة رضى الله عنها.

قالت دلال: حدثتنى أمى آمنة قالت: كانت عجردة تغشانا ، فتظل عندنا اليوم أو اليومين ، فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها ، وتقنعت ، ثم قامت إلى المحراب ، فتصلى إلى السحر ثم تجلس تدعو إلى السحر ، فقلت لها: أو قال لها بعض أهل الدار: لو نمت الليل شيئاً ؟! فبكت! وقالت : ذكر الموت لا يدعنى أنام.

قال جعفر بن سليمان: حدثنى بعض نسائى ، أمى أو غيرها من أهلى قالت: فنظرت إليها ، فإذا هى جلدة ، وعظمة ، قال: وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تفطر ستين عاماً . والله أعلم.



٥٣- حبيبة العدوية

سر عابدات البصرة.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال عبد الله أبو محمد : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة ، قامت على سطح ، وشدت عليها درعها ، وخمارها ، وقالت:

إلهى: غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك ، فإذا كان السحر قالت : اللهم ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى هل قبلت منى ليلتى ، فأهنأ ، أم رددتها علىَ فأُعزّى ، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبداً، ما أبقيتنى ووعزتك ! لو انتهرتنى ما برحت بابك، ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك، والله أعلم.

***

ومنهن :

٥٤- منهن أم الأسود العدوية

قال السلمى: وكانت معاذة العدوية قد أرضعت أم الأسود ، وكانت تقول لها: لا تفسدى رضاعى بأكل الحرام ، فإنى أجهدت جهدى حين أرضعتك حتى أكلت الحلال ، فاجتهدى أن لا تأكلى إلا الحلال ، لعلك أن توفقى لخدمة سيدك ، والرضا بقضائه.

فكانت أم الأسود تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتنى فريضة ، أو ورد من أورادى والله أعلم.



ومنهن :

٥٥- مريم البصرية

وكانت تخدم رابعة العدوية ، وكانت إذا سمعت علم المحبة[١]: طاشت، فحضرت بعض المذكرين: فتكلم فى المحبة ، فماتت فى المجلس.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال عبد العزيز : قامت مريم البصرية .من أول الليل ، فقالت: ﴿**الله لطيف بعبادة**﴾ [الشورى : ١١٩] [٢] ثم لم تجره حتى أصبحت ، وتكلم فى الرزق فقالت: ما اهتممت بالرزق ، ولا تعبت [فى طلبه] منذ سمعت الله يقول :﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما إنكم تنطقون**﴾ [الذاريات:٢٣][٣] والله أعلم.

قالت: كان الحسن البصرى يقول: لعن الله : من لم يصدق الله فى قسمه، والله أعلم.

***

([١]) فى (ش) علوم.

([٢]) فى (ش) فلم تجزئها.

([٣]) الزيادة من (ع).

ومنهن :

٥٦- عُفيرة العابدة

قال رَوْح بن سلمة الورّاق: قلت لعُفَيرة : بلغني أنك لا تنامين الليل، فبكت ثم قالت: ربما اشتهيت النوم : فلا أقدر عليه ، وكيف يقدر على النوم من لا تنام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً ؟! فأبكتني ، والله ! ثم قلت في نفسي : أراني في شئ، وأراك في شئ.

قال يحيى بن بسطام دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة ، وكانت قد تعبدت ، وبكت ، حتى عميت فقال بعض أصحابنا : ما أشد العمى بعد البصر ، فسمعته عفيرة فقالت : يا عبد الله عمى القلب، والله عن الله عزوجل أشد من عمى البصر عن الدنيا ! والله ! لوددت : أن الله عز وجل وهب لي كُنه محبته ، وأنه لم يبق مني جارحة إلا أخذها .

قيل لها: أدعي لنا: فقالت: جعل الله الموت مني ومنكم على بال، قال لها سعيد العمي: أما تسأمين من طول البكاء فبكت ثم قالت : يا بني كيف يسأم ذو داءٍ، من شئ يرجو أن فيه شفاء ؟! قال: ثم بكت ، فقمت فخرجت وتركتها.

قال راشد: قدم ابن أخ لها كانت قد طالت غيبته، فبشرت به فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء واليوم يوم سرور؟ فازدادت بكاءً ثم قالت: والله: ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة ، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله عز وجل ، ثم غُشِيَ عليها والله أعلم.

***

ومنهن :

٥٧- عبيدة بنت أبى كلاب

قال شعيب بن محرز: حدثتنى سلامة العابدة قالت : بكت عبيدة بنت أبى كلاب أربعين سنة حتى ذهب بعدها ، قيل لها : أما تشتهين شيئاً؟! فقالت: الموت ! فقيل: لم ؟ فقالت : إنى والله فى كل يوم أصبح أخشى أن أجنى على نفسى جناية ، يكون فيها عطبى فى الآخرة.

* **ويحكن يا نساء زماننا !** وأنتن تحببن الحياة الدنيا للتمتع بزهوتها ، ولا تتوقفن فى مأكل ولا مشرب ، ولا كلام شئ ، وإن كان فيه غضب الله ورسوله، وتنسين **﴿ومن يعصِ الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾** [النساء : ١٤].

قالت عبيدة: رأيت رابعة فى المنام فقلت لها: ما فعلت عبيدة بنت أبى كلاب؟ فقالت : هيهات ! سبقتنا والله ! إلى الدرجات العلا، قلت: وبم قد كنت عند الناس أكبر منها ؟! فقالت: إنها لم تكن تبالى ما أصبحت من الدنيا وأمست.

***



ومنهن :

٥٨- عمرة ، امرأة حبيب العجمى

بات عندها شخص ، فسمعها وقت السحر وهى تقول لزوجها : قم يا رجل فقد ذهب الليل ، وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد، وزاده قليل، وقوافل الصالحين ، قد سارت قُدّامنا ، ونحن قد بقينا.

حصل لها وجع فى عينها : فقيل : كيف تجدينك ؟! فقالت: وجع قلبى أشد من وجع عينى ! والله أعلم.

***

ومنهن :

٥٩- بردة الصريمية

وكانت إذا قيل لها : كيف أصبحت تقول : أصبحنا[١] أضيافاً منتجعين بأرضٍ غريبة[٢]، ننتظر إجابة الداعى، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها، فقيل لها: اتقى الله تعالى ! أما تخافين على بصرك أن يذهب ! فقالت : دعونى ! فإن أكن من أهل النار فأبعدنى الله ، وأبعد بصرى ، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلنى الله تعالى خيراً من عينى ، قال عطاء بن مبارك : كانت بردة تقوم الليل ! فإذا أهدأت العيون نادت بصوت حزين:

---

(١) فى (ش) و (أ) [أصبحت].

(٢) فى (ع) [غربة].

هدأت العيون، وغارت النجوم ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك يا محبوب ، أفتراك تعذبني، وحبك في قلبي ، لا تفعل يا حبيباه، وكانت تبكي حتى يرحمها من يراها.

قال سفيان : رحم الله بردة: ما كان هنا من النساء المجاورات أشد اجتهاداً منها منها بكت حتى ذهب بصرها ، وكانت إذا سمعت الصواعق: صرخت ولم تزل تصبح حتى يغشى عليها والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٠- أم طلق

كانت تصلي كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله قال عاصم الجحدري : كانت أم طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله تعالى عليها سلطاناً ، وكانت تقول : النفس مَلِك إن تبعتها ومملوك إن أتعبتها ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦١- أم إبراهيم العابدة

كانت لها دابة فضربت ، فكسرت رجلها، فأتاها قوم يحزنون لها، قالت: لولا مصائب الدنيا : لوردنا الآخرة مفاليس.

قال أبو موسى : كنت مع أم إبراهيم العابدة فلما صرنا عند الجمرات رأت الناس وقد أقبلوا على البيع والشراء فقلت : حبيبى أقبلوا على الدنيا وتركوك، ثم صرخت فاجتمع الناس فغطيتها بثوبى ، ثم قلت للناس: أصابها شئ، وأوهمتهم أن بها علة ثم أقمت عليها، حتى أفاقت ، فقلت: يا أم إبراهيم ما هذه الشهرة ؟ فقالت: يا بطال إذا كان هو يقسم الثياب : فلمن يتصنع ! والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٢- أم الحريش

وكانت من العابدات ، قدر عليها: أنها تزوجت بشخص من الجند ، فكانت لا تأكل من طعامه ، وتعد لنفسها شيئاً تأكله، فكان فى بعض الأحيان، يحملها على الأكل معه ، فكانت تريد أنها تأكل وتضع أصابعها خارج القصعة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٣- حسنة العابدة

وكانت كاسمها ذاتاً ، ومعنى.

قال محمد بن قدامة : تركت حسنة نعيم الدنيا ، وأقبلت على العبادة ،

فكانت تصوم النهار، وتقوم الليل ، وليس في بيتها شئ ، كلما عطشت خرجت إلى النهر ، فشربت منه بكفيها.

وكانت جميلة : فقالت لها امرأة : لو تزوجت؟ فقالت : هات رجلاً ، زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً ، وما أظنك تقدرين عليه ، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ، ولا أتنعم في الدنيا، مع رجال الدنيا وإن وجدت رجلاً يبكي ، ويُبكيني ، ويصوم ، ويأمرني به ، ويتصدق ، ويحضّني عليه فيها، ونعمت ، وإلا فعلى الرجال السلام ، والله أعلم.

* **ويحكن:** بل ويلكن يا نساء هذا الزمان ! أنتن عكس ذلك ترغبن في أبناء الدنيا ، مع ما هم عليه من ترك أمور الآخرة ، بل لو كان الزوج فاسقاً يشرب المسكر ، ويتعاطى غيره من المحرمات ، وله ثروة رغبتن فيه ، وإن كانت مخالطته تقتضي غضب الله عز وجل.

* تباً لكم ! ما أقل رغبتكن ! فيما يقرب من الله عز وجل ، وما أرغبكن ! فيما يبعد عن الله عز وجل ولهذا وأشباهه.

قال رسول الله ﷺ : «**أطلعت على النار فوجدت أكثرها النساء**» (١)

والله أعلم.

***

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٢٤١ (٥١٩٨) ، (٦٥٤٦).



ومنهن :

٦٤- زُجْلَة العابدة مولاة معاوية

قال أحمد بن سهل الأزدى: دخل على زجلة العابدة نفر من القراء : فكلموها بالرفق بنفسها فقالت: مالى وللرفق بها ! إنما هى أيام مُبادرة، فمن فاته اليوم شئ لا يدركه غداً ، والله يا إخوتاه ! لأصلين ما أقلتنى جوارحى، ولأصومن له أيام حياتى ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى ثم قالت : أيكم يأمر عبده بأمر فيجب أن يقصر فيه ؟! قال عباد الخواص : دخلنا على زجلة ؛ وكانت قد صامت حتى اسودت ، وبكيت حتى عميت ، وصلت حتى أقعدت ، فكانت صلاتها قاعدة ، فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو أردنا أن نهون عليها الأمر فشهقت ثم قالت علمى بنفسى! قرح فؤادى ، وكلم قلبى، والله ! لوددت أن الله عز وجل لم يخلقنى ، ولم أكُ شيئاً مذكوراً ثم أقبلت على صلاتها ، وتركتنا فخرجنا من عندها.

وكانت رضى الله عنها تخرج إلى الساحل ، فتغسل ثياب المرابطين ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٥- مطيعة العابدة

بكت أربعين عاماً ، فعوقبت على كثرة البكاء ، فقالت: لا أزال أبكى ! حتى أعلم أى الحالتين أنا عند الله عز وجل.

قال ابن الحسين: دخلنا على مطيعة العابدة فى المقابر بالبصرة، فجعلنا نذاكرها شيئاً من الخير، فلم نستبين كثيراً من كلامها من كثرة بكائها ، فلما رأيناها كذلك: تركناها ، أقامت فى المقابر أربع وخمسين سنة ، تذكر نفسها الآخرة ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٦- مسكينة

قال عمار بن الراهب : وكان من العاملين لله تعالى فى دار الدنيا قال: رأيت مسكينة فى منامى ، وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً ، فقالت: هيهات يا عمار ! ذهبت تلك المسكنة ، وجاء الغنى الأكبر ، فقلت : هيه؟! فقالت: ما تسأل عمن أبيح لــه الجنة بحذافيرها ، قلت : وبم ذاك يرحمك الله عز وجل ؟! فقالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق ، قال : وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن راذان فقلت: ما فعل عيسى ؟! فضحكت فقالت:

قد كسى حلة البهاء ، وطافت بأباريق حوله الخدام.

ثم حلى ، وقيل : يا قارئ اقرأ وارق ، فلعمرى لقد برأك الصيام ، وكان عيسى قد صام حتى انحنى ، وانقطع صوته ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٧- امرأة رياح القيسى

قال البزار: تزوج رياح القيسى امرأة فبنى بها ، فلما أصبح : قامت إلى عجينها فقالت : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا ؟! فقالت: إنما أرانى تزوجت رياحًا، ولم أرانى تزوجت جباراً عنيداً ! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ، ثم نادته : قم يا رياح ! فقال: أقوم ! فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح! فقال: أقوم ! فقامت الربع الآخر ثم نادته قم يا رياح ! فقال : أقوم ! فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ؟! ليت شعرى من غرنى بك ! ثم قامت الربع الآخر.

قال رياح: تزوجت امرأة ، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة : تطيبت ولبست أحسن ثيابها ، ثم تأتينى فتقول : ألك حاجة ؟! فإن قلت : نعم كانت معى وإن قلت: لا ! قامت فنزعت ثيابها ، ثم صفت بين قدميها، حتى تصبح قال رياح: أغتممت مرة فى شئ من أمر الدنيا ، فقالت: أراك تغتم لأمر الدنيا؟! غرونى بك ! ثم أخذت هدية من مقنعتها ، وقالت: الدنيا أهون علىّ من هذه رضى الله عنها ، والله أعلم.

***



ومنهن :

٦٨- [امرأة الجونى] [١]

قال ابنها : كانت أمى تصلى: حتى تعصب ساقيها بالخرق فيقول: لها زوجها دون هذا ! فتقول: هذا عند طول القيام فى الموقف ، قليل ، فيسكت عنها، والله أعلم.

***

ومنهن :

٦٩- ابنة أم حسان

قال سفيان الثورى: دخلت عليها : فإذا فى جبهتها مثل ركبة العنز ، من أثر السجود، ورأيت من حالها ما يحزن ! فقلت لها : لو رفعت رقعة إلى فلان: لعله يعطيك من زكاة ما لــه ما تُغيرين به بعض هذه الحالة التى آراها ؟! فقالت: يا سفيان ! قد كان لك فى قلبى رجحان كبيراً ، وكثيراً ، وقد أذهب الله تعالى برجحانك من قلبى ، يا سفيان ! تأمرنى أن أسأل الدنيا ممن لا يملكها ؟! وعزته وجلاله ! إنى لأستحى أن أسأله الدنيا وهو يملكها!

قال سفيان : وكانت إذا جنَّ الليل ! دخلت محرابها ، وأغلقت عليها ، ثم نادت إلهى ! خلى كل حبيب لحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب.

---

(١) الترجمة سقطت من (ش).

قال سفيان : فد خلت عليها بعد ثلاث : فإذا الجوع قد أثر في وجهها ، فقلت لها: إنك لن تؤتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليها السلام؟! إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فقالت: يا سفيان ! قل الحمد لله ! ثم قالت: اعترفت له بالشكر ، قلت : نعم ! فقالت : وجب عليك من معرفة الشكر: شكر! وبمعرفة الشكرين ! شكر ! لا ينقضي أبداً، قال سفيان : فقصر والله علمي ، وفقه لساني ، فوليت أريد الخروج ، فقالت : يا سفيان ! كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله ، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله عز وجل، اعلم أنه لن تُنق القلوب من الردى : حتى تكون الهموم كلها في الله عز وجل هماً واحداً.

قال سفيان: فقصُرت والله إلى نفسي ! والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٠- مملوكة إلى إبراهيم النخعي

قال أبو الأحوص: عن مغيرة أو غيرة : كانت مولاة لإبراهيم النخعي ! تعد إلى اليوم الشديد الحر فتصومه ، فقيل لها : إنك تعمدين إلى اليوم الشديد الحر: فتصومينه ، فقالت : إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد ! رضي الله عنها ، والله أعلم.

***

ومنهن :



٧١- جارية عبيد الله قاضى البصرة

قال سيدها : كانت عندى جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجباً ، وكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى ، فانتبهت فلم أجدها ، فالتمستها ؟! فإذا هى ساجدة ، تقول: بحبك لى اغفر لى ! فقلت : يا جارية لا تقولى بحبك لى ! وقولى بحبى لك ؟! اغفر لى ! فقالت : يا بطال ! حبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام ، وأيقظ عينى ، وأنام عينك ، فقلت لها : اذهبى فأنت حرة لوجه الله عز وجل! فقالت: يا مولاى ! أسأت إلىّ فقلت : ولم ؟! فقالت : كان لى أجران فصار لى أجر واحد ، رضى الله عنها ، والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٢- جارية خالد الوراق

قال خالد : كانت لى جارية شديدة الاجتهاد ، فدخلت عليها يوماً: فذكرتها بشئ من رفق الله عز وجل ، وقبوله يسير العمل ، فبكت ! ثم قالت: يا خالد! إنى لأؤمل من الله عز وجل آمالاً : لو حملتها الجبال لأشفقت ممن حملها ، كما ضعفت عن حمل الأمانة ، وإنى لأعلم أن فى كرم الله عز وجل مُستغاثاً لكل مذنب ، ولكن كيف لى بحسرة السباق ؟! قلت: وما حسرة السباق ؟! قالت: غداة الحشر : إذا بعثر ما فى القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط وعزة سيدى ! لا يموت

الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت أعلام المحسنين ثم بكت وقالت: يا خالد لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة ، فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال فهلا كانت الآمال تُوقظهم إذا أنام البطالون ؟ والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٣- جارية مجهولة

وردت الكعبة شرفها الله

قال سعيد بن جبير: رأيتها وقد تعلقت باستار الكعبة فجعلت تدعو وتبكى وتتضرع حتى ماتت رحمها الله عز وجل والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٤- جارية كانت لشخص يقال له : أبو محرز

قال: شكوت إليها يوماً ضيق المكسب علىّ وأنا شاب فقالت: يا بنى استعن بعز القناعة من ذلّ المطالب ، فكثيراً والله ما رأيت القليل عاد سليماً قال أبو محرز: فما زلت بعد قولها أعرف بركة كلامها فى قنوعى والله أعلم.

***



ومنهن :

٧٥- عابدة بالبصرة

أراد أناس يسلمون عليها فقيل لهم: لا تصلون إليها فقيل: ولم ؟ فقالوا: قد أغلقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي قلنا : وممَّ ذاك ؟ فقالوا : قتلت نملة. والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٦- عابدة بالبصرة

قال سعيد بن عطاء : ذكر لي امرأة متعبدة بالبصرة فأتيتها فوجدتها تصلي فانصرفت فلما فرغت قالت لي: ما اسمك ؟ قلت: سعيد قالت: يا سعيد كل شئ أشغلك عن الله عز وجل فهو مشئوم ثم أقبلت على صلاتها وتركتني والله أعلم.

* **قلت:** هذه كلمة فيها تنبيه عظيم من أخذ بمقتضاها لا يجد له فراغاً إلى غير ما فيه رضى الله عليه فعليك بالتمسك بها فما أبركها من كلمة وفقنا الله عز وجل إلى العمل بها والله أعلم.

***



ومنهن :

٧٧- عابدة

كانت إذا أصبحت قالت لقلبها: فقدتُك من قلبٍ ما أنساك[١] وأصبحت لعظمة الله عز وجل ناسياً ، إلهي كيف لي بالقرب منك غداً وقاسي القلب منك بعيد والله أعلم.

* أشارت رضي الله عنها إلى أسباب قسوة القلب وهي كثيرة جداً منها خوف الفقر وقلة اليقين ومعاشرة أبناء الدنيا والتشبه بهم ، وأقل أسباب قسوة القلب كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل.

في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رسول الله ﷺ :

«لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي» [٢].

رواه الترمذي والله أعلم.

***

---

(١) في (ش) و (ع) أقساك.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١١) عن ابن عمر مرفوعاً.

ومنهن :

٧٨- عابدة

قال حماد بن سلمة رضى الله عنه: خرجت فى ليلة مظلمة ذات برد وريح ومطر ومعى شوى أريد أقسمه فى جيرانى فإذا أنا بامرأة قد خرجت وهى تقول: يا رفيق يا رفيق ارفق بنا قال: قلت مالك يرحمك الله؟ فقلت: يا رفيق يا رفيق أرفق بنا قال: قلت مالك يرحمك الله تعالى ؟ فقالت: يا حماد إنه دخل هذا المطر على أيتامى حتى تحت فرشهم فقلت: يا رفيق يا رفيق أرفق بنا قال حماد: قد خلت فرأيته أيبس ما كان فقلت: هناك رحمك الله عز وجل هذا الشئ فأنفقيه على نفسك وعلى أيتامك ، فقالت: إليك عنى يا حماد فإنى إنما أسأل أجود الأجودين.

وفى رواية : قال حماد: رسخ علينا المطر سنة من السنين وفى جوارى امرأة من المتعبدات لها نبات أيتام فوكف السقف عليهم أى دلف فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بنا. فسكن المطر فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت الباب فقال: اجعله حماد بن سلمة فقلت : أنا حماد وسمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت: يا رفيق ارفق بى فما بلغ من رفقه بك؟ فقلك : سكن المطر وأدفأ الصبيات وجفف البيت فأخرجت الدنانير فقلت: انتفعى بهذه فإذا حبيه عليها. مدرعة صوف تستبين خروقها قد خرجت علىَّ وتقول : ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا ليطردنا من بابه ثم ألصقت خدها بالتراب، ثم قالت: أنا وعزتك لازايلتُ بابك وإن طردتنى ثم قالت: يا

حماد ردّ دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين.
وفى رواية : فجعلت تنقل أولادها من موضع إلى موضع فلا يزداد الوكف إلا شدة فلما أذلقها ذلك قالت: يا رفيق ارفق بى فما أصابها من ذلك المطر قطرة واحدة والله أعلم.

***

ومنهن :

٧٩- شعوانة

قال معاذ بن الفضل : بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى ، فقلنا لها فى ذلك ، فقالت : اعمى الله فى الدنيا من البكاء أحب إلى من أعمى فى الآخرة فى النار قال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة كثيراً فكنت أرى ما تصنع بنفسها فقلت لصاحب لى: لو أتيناها إذا خلت فقال: نعم فانطلقنا.
فاستأذنا عليها فأذنت فدخلنا فإذا منزل رث عليه أثر الجدب فقال لها صاحبى: لو رفقت بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئاً كان أقوى لك على ما تريدين قال: فبكت ثم قالت: والله لوددت أنى أبكى حتى تنفذ دموعى ثم أبكى الدماء حتى لا يبقى فى جسدى جارحة فيها قطرة من دم وأتالى البكاء قال: فلم تزل تردد ذلك حتى انقلبت حدقتاها ثم مالت ساقطة مغشياً عليها فقمنا وخرجنا عنها وتركناها على تلك الحالة وكانت تنادى : يا موتى يا بنى الموتى وإخوة الموتى رضى الله عنها والله أعلم.

ومنهن :

٨٠- ريحانة

وكانت ترمى بالجنون

قال ثابت البنان : رأيت ريحانة وقد قامت من أول الليل وهى تقول:

قال المحب إلـــى المؤمـــل قومـــة كاد الفؤاد من السرور يطيرُ

فلما كان جوف الليل قالت:

لا تأنسن بمن توحشك نظرتـــــه فتمنعن التذكار فى الظُلَـــــم

واجهدوكدوكن فى الليل ذا شجن يسبقك كأس وداد العزّ والكـــرم

ثم نادت: واحزناه واسلباه فقلت : مم ذا ؟ فقالت:

ذهب الظلام بأُنسه وبأُلفه ليت الظلام بأُنسه يتجدّدُ

***

ومنهن :

٨١- عابدة كانت بعبادان

قال صاح بن عبد الله: خرجنا إلى عبادان ومعنا قارئ فقرأ فإذا امرأة على سطح فصرخت ثم سقطت من السطح فحملت فأدخلت داراً ثم ما برحنا حتى ماتت فنودى لها فما رأيت أحسن ولا أكثر جمعاً من ذلك اليوم والله أعلم.

***

ومنهن :

٨٢- مُنفية من عابدات البحرين

قال مسمع بن عاصم : كانت منفية إذا هجم الليل عليها قالت: بَخٍ بَخٍ يا نفس قد جاء سرور المؤمن فتتحزم وتتلبس وتقوم إلى محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هى فى صلاة حتى ينادى بالعصر فإذا صلت العصر هجعت إلى غروب الشمس فكان هذا دأبها فقيل لها: لو جعلت هذا النوم فى الأول كان أهدى لبدنك فقالت : لا والله لا أنام فى ظلمة الليل مادمت فى الدنيا.

قال: أبو سفيان: فحدثنى رجل من أهلها أنها مكثت كذلك أربعين سنة ثم ماتت.

قال أبو سفيان: فحدثنى رجل من البحرين يقال لـــه عامر أنه رأى مُنيفة بعد موتها فقال لها : يا منيفة ما حال الناس هناك فأقبلت على وقالت: عن أى حالهم تسأل الدار واحدة لأهل الطاعة يتغالون فيها بالأعمال ولا يسأل عن حال أهل النار قال: فبكيت من قولها ولا تسأل عن حال أهل النار قال: ثم وليت فاتبعتنى صوتاً يا عامر عليك بالجد والأجتهاد لعلك تجرى فى مساعى السابقين غداً قال عامر : فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً.

قال عامر: قال أبى: بت عند منيفة ليلة فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ترددها وتبكى: ﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**﴾

[آل عمران : ١٠١] والله أعلم.

ومنهن :

٨٣- ماجدة

وهى سيدة جليلة من كلامها النافع:
سكان دار أُذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون فى المهلة كأن المراد غيرهم والتأذين ليس ولهم والمعنى بالأمر سواهم بؤساً من عقول ما أنقصها ومن جهالة ما أتمها بؤساً لأهل المعاص ما أغروا به من الإمهال والاستدراج وكانت تقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفف عليهم الأعمال.
وكانت تقول: لم ينل المطيعون ما نالوا من حال الجنان ورضى الرحمن إلا بتعب الأبدان أن والقيام لله بحقه فى المنشط والمكره والله أعلم.

***

ومنهن :

٨٤- عابدة من عابدات الموصل

خطبها رجل فقالت للرسول: قل له ما يسرنى أنك لى عبد وجميع ما تملك لى وإنك شغلتنى عن الله عز وجل طرفة عين والله أعلم.

***

ومنهن :

٨٥ – رقية من عابدات الموصل

قال فتح الموصلى: سمعتها تقول: يا إلهى وسيدى ومولاى لو أنك عذبتنى بعذابك كله لكان ما فاتنى من قربك أعظم عندى من العذاب ولو نعمتنى بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك فى قلبى أكثر.

وقالت : إنى لأحب ربى حباً شديداً فلو أمر بى إلى النار ما وجدت للنار حراً مع حبه لأن حبه هو الغالب علىَ.

وكانت تقول: حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن ضلاة الإيمان شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجل، ولو تركوها لجالت فى الملكوت ورجعت إليهم بطوف الفوائد.

وكانت تقول: تفقهوا فى مذاهب الإخلاص ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص والله أعلم.

***

ومنهن :

٨٦– موافقة

وقيل : موفقه من عابدات الموصل.

قال فتح الموصلى : مرت بى موافقة فعثرت فسقطت ظفر إبهامها فضحكت

فقيل لها: يا موافقة سقط ظفر إبهامك وتضحكين فقالت: إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه والله أعلم.
ووقع ذلك لامرأة الموصلى قدس الله روحهما.

* * *

ومنهن :

٨٧- راهبة من عابدات الموصل

قال أحمد بن أبى الحوارى : حدثتنى امرأتى رابعة أنها دخلت على امرأة عاتق فقالت لها : هل تريدين ما قوله تعالى ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ [الشعراء : ٨٩] قالت: قلت لا فقالت : القلب السليم الذى يلقى الله تعالى وليس فيه غير الله تعالى.
قال أحمد : فحدثت بهذا أبا سليمان الدارانى فقال: ليس هذا كلام الراهبة هذا كلام الأنبياء عليهم السلام ، والله أعلم.

* * *

ومنهن :

٨٨- عابدة من عابدات الكوفة

قال عبيد الله بن عبد الخالق: تبى الروم نساء مسلمات فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين فقيل لمنصور ابن عمار : لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين فحرضت الناس على الغزو ففعل فبينا هو يذكرهم ويحرضهم إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة وقد طرحت إلى

عمار، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة ففكَّ الكتاب فقرأه فإذا فيه: إنى امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات وسمعت تحريضك الناس على الغزو وترغيبك فى ذلك فعمدت إلى أكرم شئ فى بدنى وهما ذؤ أبتاى فقطعتهما وحررتهما فى هذه الخرفة المختومة وإنى أنشدك بالله العظيم لما جعلتها قيد فرس غاز فى سبيل الله عز وجل فلعل الله العظيم أن ينظر إلى على تلك الحال فيرحمنى بها فبكى وأبكى الناس وأمر هارون الرشيد أن ينادى بالنفير فغزا بنفسه فأنكى فى العدو وفتح الله عليهم

والله أعلم.

***

ومنهن :

٨٩- عابدة من أهل الشام

نقل عنها مثل ذلك

قال أبو قدامة الشامى : كنت أميراً على الجيش فى بعض الغزوات فدخلت فى البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم فى الثواب وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها ثم نفرت الناس فركبت فرسى وسرت إلى منزلى فإذا امرأة من أحسن الناس تنادى يا أبا قدامة فقلت : هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أجب فقالت: ما هكذا كان الصالحون فوقفت فجاءت فدفعت إلى رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا فى الثواب ولا قدرة لى على ذلك

فقطعت أحسن ما في وهما ظفيرتاى وأنفدتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله عز وجل يرى شعرى قيد فرسك فى سبيله فيغفرلي فلما كانت صيحة القتال فإذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلام ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا فقال: أتأمرنى بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿ **يأيها الذين أمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوا الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾ [الانفال : ٨٩] .

فحملته على هجين كان معى فقال: يا أبا قدامة أقرضنى ثلاثة أسهم فقلت: أهذا وقت قرض فما زال يلح علىّ حتى قلت : بشرط إن منّ الله عز وجل بالشهادة أكون فى شفاعتك فقال : نعم فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهماً فى قوسه وقال : السلام عليك يا أبا قدامه فقتل رومياً.

ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودع فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوص سرجه فتقدمت إليه وقلت: لا تنسها قال: نعم ولكن لى إليك حاجة إذا دخلت المدينة فأت والدتى وسلم خرجى إليها وأخبرها فهى التى أعطتك شعرها لتقيد به فرسك وسلم عليها فإن العام الأول أصيبت بوالدى وفى هذا العام أصيبت بى ثم مات فحفرت له ودفنته فلما أهممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها فقال أصحابى : إنه غلام غر لعله خرج بغير إذن والدته فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز

وجل فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة اترك ولي الله عز وجل فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته فلما رأتني عادت وقالت : يا أماه هذا أبو قدامة وليس معه أخي وقد أصابنا للعام الأول بأبي وفي هذا العام بأخي فخرجت أمه فقالت: أمعزياً أم مهنئاً فقلت: ما معنى هذا ؟ فقالت : إن كان مات فعزني وإن كان استشهد فهنئني فقلت: استشهد فقالت: لــه علامة فهل رأيتها قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وبقيت عظامه فدفنتها فقالت: الحمد الله فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت مسحاً وغلاً من حديد وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغلّ وناجى مولاه وقال في مناجاته: احشرني من حواصل الطيور فقد استجاب الله عز وجل دعاءه والله أعلم.

قلت: فعل هذه المرأة والتي قبلها بشعرهما ذلك إنما حملها عليه حسن القصد إلا إنهما أخطأتا في ذلك فإن التقرب إلى الله تعالى إنما يكون في الأمور المأذونة منه سبحانه وتعالى ومن رسوله ﷺ لمن أراد أن يفعل شيئاً على وجه التقرب إلى الله عز وجل أن لا يفعل ذلك إلا بأن يقتدي بمن يرجع إليه في الدين والعلم أما الذين لا علم لهم كمشايخ هذا الزمان من المتصوفة فلا معول عليهم فإنهم على جهل وبدعة وقلة دين ألا ترى أنه لو دعاه مكاس إلى وليمة بادر إلى أكلها وإن كانت مثل قطع الطريق ولو أهدى إليه ظالم شيئاً وزيراً كان أو قاضي الرشى أو غير ذلك قبله وبشئ لــه وهذا عين الفسوق ومثل هذا لا يقتدي به ولا يعول عليه فإنه مفسد لنفسه ولغيره من الجهلة وأما الفقية الذي لا يتوقف فيما يأكل ويكتسي

ويجالس الظلمة ويوادهم فهذا أيضاً لا يسأل ولا يلتفت إلى قوله فإنه مفسد للشريعة المطهرة وهو ملعون بنص القرآن على لسان الأنبياء أن أنكر عليهم ثم استمر يجالسهم ويواكلهم وإن لم ينكر عليهم فأى لعن يلحقه فإن أعانهم على ما هو عليه من الظلم فهذا فتنتة ، فتنة عظيمة.

فى الحديث من رواية كعب بن عجرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«من دخل على الظلمة وصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى، ولست منه ولا يرد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم ، فهو منى وأنا منه وسيرد على حوضى».

قال العلماء: ولا أحد أسوأ حالاً ممن تبرأ منه رسوله ﷺ وقوله ﷺ : «**لا يرد على الحوض**» فيه إشارة إلى أنه يسلب الإيمان بسبب دخوله عليهم وتصديقهم على ظلمهم لأن المعاصى بريد الكفر كما وقعت إليه الإشارة فى القرآن العظيم والسنة الصحيحة ، وقد أجمع على ذلك السلف وقالوا: إنما يظهر ذلك عند الموت.

***

ومنهن :

٩٠- عابدة من عابدات بيت المقدس

اسمها طافية

قال عطاء الخراسانى: كانت طافية ببيت المقدس تتعبد فيه.

وكان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما أشد العمل عليك فتقول : ما أجدنى أجد شيئاً أشد عليّ من طول الفكر فقال: وكيف ذلك ؟ فتقول إنى إذا تفكرت فى عظمة الله عز وجل وأمر الآخرة طاش عقلى وأظلم على بصرى واسترخت لذلك مفاصلى فقال لها وهب بن منبه : إذا أنت وجدت ذلك فأفزعى إلى قراءة القرآن فى المصحف والله أعلم.

***

ومنهن :

٩١- لبابة من عابدات بيت المقدس

قال محمد بن روح: قالت لبابة المتعبدة إنى لأستحى منه أن يرانى مشتغلة بغيره.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال محمد بن روح: قالت له لبابة المتعبدة مازلت أجتهد فى العبادة حتى صرت أستروح بها وإذا تعبت من لقاء الخلق أنسنى ذكره وإذا أعيانى الخلق روحنى التفرغ لعبادة الله تعالى والقيام إلى خدمته فقال لها رجل : أريد الحج فبماذا أدعو فى الموسم فقالت : سل الله تعالى أن يرضى عنك ويبلغك منزلة الراضيين عنه وأن يجعل ذكرك فيما بين أوليائه والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٢- عابدة من عابدات بيت المقدس

قال أبو جعفر السائح : رأيت عجوز فى بيت المقدس تقول : حججت ماشية اثنتى عشرة حجة ما ركبت فيها فقلت لها: فى بيت المقدس مثلك من متعبدات فذكرت نسوة يفعلن مثل ما تفعل بحمل مغازلنا إلى المسجد فلا تخرج منه إلا لحاجة فقلت: فكم بقى من القوم من هذه الصفة ؟ فقالت: نحو من عشرة . قلت فمن أعبدكن ؟ قالت: امرأة من قريش ما نراها تكلم أحداً إنما هى فى الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأتيها أهلها بما يصلحها والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٣- عابدة من عابدات بيت المقدس

قال أبو جعفر : رأيت امرأة فى بيت المقدس فى متعبد لها عليها مدرعة من شعر وخمار من شعر وسوار من حديد وكان لها سلسلة تعلق نفسها بها بالليل فقلت لها: متى أخذت فيما أنت فيه فقالت: منذ ثمان سنين قال: ورأيت نسوة كثيرة عليهن مدارع من صوف وخمر معتكفات فى المسجد لا يتكلمن بالنهار والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٤- عابدة من بيت المقدس

قال أبو سليمان الدارانى : حدثنى سعيد الإفريقى قال: كنت ببيت المقدس مع أصحاب لى فى المسجد فإذا أنا بجارية عليها درع من شعر وخمار صوف وإذا هى تقول: إلهى وسيدى ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله تعالى قالت: حب الدنيا إلا أن الله عباداً سقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم فلم يُحبوا مع الله تعالى غيره ثم قالت:

تزود قريناً من فعالك إنمــــا قرين الفتى فى القبر ما كان يعمل

إلا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلاً عندهم ثم يـــــرحـــــل

***

ومنهن :

٩٥- عابدة من عابدات بيت المقدس

قال عاصم الرصافى: حدثنى عثمان الرجانى قال: خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى فى حاجة فلقينى عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف فسلمت فردت عليها السلام ثم قالت: يا فتى من أين أقبلت ؟ قلت: من هذه القرية ؟ فقالت : وأين تريد ؟ قلت: إلى بعض القرى فقالت : كم بينك وبين أهلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلاً فقالت: إن هذه لحاجة مهمة قلت: أجل قالت: فما اسمك ؟ قلت: عثمان قالت: يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن يوجه

إليك بحاجتك ولا تتعنّى قال: ولم أعلم الذى أرادت قلت: يا عجوز ليس بينى وبين صاحب القرية معرفة فقالت: يا عثمان ما الذى أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به ؟ فعرفت الذى أرادت فبكيت فقالت: من أى شئ تبكين ؟ من شئ كنت فعلته ثم نسيته أم من شئ أنسيته ثم ذكرته؟ قال: من شئ أنسيته ثم ذكرته فقالت : يا عثمان احمد الله تعالى الذى لم يتركك فى حيرتك أتحب الله عز وجل ؟ قلت: نعم قالت: أصدقنى؟ فقلت: إى والله إنى لأحب الله تعالى قالت: فما الذى أفادك من طرائف حكمته أوصلك إلى محبته قال: فبقيت لا أدرى ما أقول فقالت: يا عثمان لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة قال: فبقيت بين يديها ولا أدرى ما أقول فقالت: يأبى الله عز وجل أن يدنس طرائف حكمته وخفى معرفته ومكنون محبته ممارسة قلوب البطالين قلت: رحمك الله تعالى لو دعوت الله تعالى أن يشغلنى بمحبته فنفضت يديها فى وجهى فأعدت القول فقالت: يا عبد الله أمضِ لحاجتك فقد علم المحبوب مناجاة الضمير من أجلك ثم ولت وقالت: لولا خوف السلب لبحت بالعجب ثم قالت: أوهً من شوق لا يبرأ إلا بك ومن حنين لا يسكن إلا إليك ، فأين لوجهى الحياء منك وأين لعقلى الرجوع إليك ؟ قال عثمان: فوالله ما ذكرت ذلك إلا بكيت وغشى علىّ والله أعلم ،

قيل لفرقد السنجى: أخبرنا بأعجب شئ بلغك عن بنى إسرائيل فقال:
بلغنى أنه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمدح فذكرن ثواب الجنة وعقابه فمتن جميعاً فى يوم واحد.

***

ومنهن :

٩٦- عابدة بثغرطبريه أسمها زينب

قال سالم الخواص : كانت عندنا جارية يقال لها : زينب وكانت تحسن خدمة مولاها فذهبتُ أسلم عليها فقالت : يا أبا محمد كنت منذ ليال قائمة أخدم مولاى فغلبتنى عيناى فسمعت قائلاً يقول:

صلاتك نور والعباد رقود فقومى فصلى للغفور الودود

قال: وخرجت يوماً فى حاجة فعثرت فانقطع إصبع من أصابعها فاجتمعنا رجالاً ونساءً نعّزيها فى إصبعها فقالت: يا إخوتى ويا أخواني ، أنسانى لذة ثوابها وجعها.

فوهب الله لى ولكم الرضا والعفو عما مضى قوموا حتى نخدم من الطريق عليه غداً والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٧- أم الدرداء

وهى من عابدات الشام واعلم أن أم الدرداء اثنتان فالكبرى تسمى خيرة بنت أبى حدرد زوجة أبى الدرداء ولها صحبة ورواية عن النبى ﷺ.

وأم الدرداء الصغرى ويقال لها: هُجيمة وهى التى خطبها معاوية بعد موت أبى الدرداء فأبت أن تتزوجه وسبب امتناعها أنها قالت : سمعت أبا

الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ : «**المرأة لآخر أزواجها**». فلست أريد بأبي الدرداء بدلاً ولا صحبة لها مع النبي ﷺ.

وروت عن أبي الدرداء وكلاهما زوجة أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال صفوان: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام قلت: نعم قالت: فادع لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه[١] بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل ذلك قال : فخرجت فلقيت أبا الدرداء فقال مثل ذلك.** [٢]. ورويه عن النبي ﷺ.

قال البرقاني: هذه أم الدرداء الصغرى قالت: طلبت العبادة في كل شئ فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر قال لها إبراهيم بن أبي عبلة: ادعي لنا فقالت: أو بلغت أنا ذلك؟ قال ميمون بن مهران: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية.

قال يونس بن ميسرة : كان يحضر أم الدرداء نساء متعبدات يهن الليل كله حتى أن أقدامهن انتفختا من طول القيام.

---

(١) حديث صحيح : رواه الطبراني (٤/٢٧٠ مجمع) ، عن أبي الدرداء ، والخطيب في " التاريخ " (٩/٢٨٨) عن عائشة مرفوعاً.

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٨/٨٦ ، ٨٧).

قال زهران : قالت أم الدرداء : هل تدرى ما يقول الميت على سريره ؟ فقلت : لا فقالت : إنه يقول يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريراه لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى ولا تلعب بكم الدنيا كما لعبت بى ، فإن أهلى لا يحملو من وزرى شيئاً ثم قالت : الدنيا لقلوب العابدين أسحر من هاروت وماروت وما أثرها أحد إلا أصرعت خدّه.

قـــال ســـعيد بن عبد العزيز : أشرفت أم الدرداء على وادى جهنم ومعها إســـماعيل بـــن عبيد فقالت: يا إسماعيل اقرأ فقرأ: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ **{ سورة المؤمنون : الآية ١١٥}** .فخرت أم الدرداء عـــلى وجههـــا وخرّ إسماعيل على وجهه فما رفعا رؤسهما حتى ابتل ما تحت وجوههما من دموعهما رضى الله عنهما.

هكذا كانوا إذا سمعوا كلام ربهم دخلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً.

وأنتن يا نساء هذا الزمان : تتلى عليكم آيات الله فلا تجدون من الخشية ما يزجركن عن بعض ما أنتن عليه من المصائب والمخالفات وتتلذذ إحداكن بمزامير الشياطين وبالغناء الذى هو قرآن الشيطان أى مصيبة عليكن أعظم من ذلك.

وكأنى بكن وقد اقتديتن فى ذلك بفقراء زماننا هذا الجهال الضلاّل الذين إذا ذكرت لأحدهم آية أو حديث عن رسول الله ﷺ لم يجد لذلك وقع فى قلبه كراهية ذلك فهؤلاء وأشباههم فسقة مبتدعة عليهم من الله ما يستحقون على هذه الصفات الخبائث وقد ذكرت فصلاً فى كتاب "**سير السالك فى أسنى المسالك**" يتعلق بذلك وهو فصل مهم نبهت فيه على نزغات الشيطان لهم

فى ذلك وغير ذلك مما هو مفيد ومرشد إلى الخير وإلى طريق السلامة إن شاء الله تعالى والله أعلم.

قال شهر بن حوشب: قالت أم الدرداء : إنما الوجل فى قلب المؤمن كأحتراق السعفة أما تجد لها قشعريرة ؟ قال: بلى قالت: فادع إذا وجدت ذلك فإن الدعاء يستجاب عند ذلك والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٨- أم البنين بنت عبد العزيز

أخت عمر بن عبد العزيز

كانت تقول: ما تحلى المتحلون بشئ أحسن عليهم من مهابة الله تعالى فى صدورهم وكانت تقول: أفٍ للبخل لو كان قميصاً ما لبسته ، ولو كان طريقاً ما سلكته.

وكان النساء ربما يجتمعن عندها ويتحدثن وهى قائمة تصلى فإذا فرغت تقول: أحب حديثكن فإذا قمت إلى الصلاة نسيتكن وكان تكسوهن الثياب وتعطيهن الدنانير وتقول: الكسوة لكن والدنانير اقسمنها بين فقرائكن وتقول: والله للمواساة أحب إليَّ من الطعام الطيب على الجوع ومن الشراب البارد على الظمأ.

وكانت تقول: ما حسدت أحداً على شئ إلا أن يكون معروفاً فإنى أحب أن أكون معروفاً فإنى أحب أن أكون شريكة فى ذلك.

وكانت تقول: ما تحلى المتحلون بشئ أحسن عليهم من عظيم مهابة الله عز وجل في صدورهم والله أعلم.

***

ومنهن :

٩٩- أم عبدة أخت أبى سليمان الدارانى

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال أبو سليمان الدارانى: وصفت لأختى عبدة قنطرة من قناطر جهنم فأقامت يوماً وليلة فى صيحة واحدة ما تسكن ثم انقطع عنها فقلت: من أى شئ كان صياحها ؟ فقال: مثلت نفسها على القنطرة.

وقال أبو سليمان الدارانى : سمعت أختى تقول : الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز الثناء عنه والرضا بفقره.

وكان لأبى سليمان الدارانى أختان عبدة وآمنة وكانتا من العقل والدين بمحلٍّ عظيم.

***

ومنهن :

١٠٠- رابعة بنت إسماعيل

زوجة أحمد بن أبى الحوارى خادم أبى سليمان رضى الله عنهم وهذه رابعة شامية، ورابعة العدوية بصرية.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لزوجتى رابعة وقد قامت تصلى بليل قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه فما رأينا من يقوم من أول الليل فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت.

قال: وجلست آكل فجعلت تذكرنى فقلت: دعينا يهنينا طعامنا فقالت: ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

قال أحمد: قالت لى : أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوئ عمله فتشاغل به دون خلقه.

وقال: قالت لى : إنى لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن.

ومعنى أضن : أبخل أن آكلها نظراً منها إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ { آل عمران :آية ٩٢} وأما خوف السمن فى ذراعها فلأجل أكل الدود له وخوفاً من وقوف الحساب لأجل كثرة الأكل.

قال: وكنت إذا نظرت إلى وجهها ورقبتها فأحزن لذلك.

قال: وكانت تقول: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك. وإنما أحب وأتمنى أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانك.

وكانت إذا طبخت قدراً قالت: كله يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح قلت: ولست أستحل أن أمنعك وغيره اذهب فتزوج فتزوجت ثلاثاً وكانت تطعمنى اللهم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك وكنت إذا أردت قربها نهاراً

تقول: أسألك بالله تعالى لا تفطرني اليوم وإذا أردتها بالليل تقول: أسألك بالله لما وهبتني لله عز وجل هذه الليلة.

وكان معها سبعة آلاف درهم أنفقتها عليَّ.

وكانت تقول لي : ما سمعت الآذان إلا ذكرت مُنادي يوم القيامة ولا رأيت الثلج إلا ذكرت تطاير الصحف ولا رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر.

قال: وكانت تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترون مني بأكمامهن وقالت: بيدها على رأسها.

ودعوتها يوماً فلم تجبني فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت : إنما منعني أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحاً بالله عز وجل فلم أجبك.

قال أحمد: كان لرابعة زوجتي أحوال شتى مرة يغلب عليها الخوف ومرة يغلب عليها الأنس ، ومرة يغلب عليها الحب.

فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يـــعـــدِ لُـــه حبيب ولا لِسواهُ في قلبي نصيبُ

حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي لا يغيب

وسمعتها في حال الأنس تقول:

لقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مُؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيـــسي

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قليل لا أراه مبلغي للزاد أبكي أم لطول مسافتي؟

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين محبتـــي؟

***



ومنهن :

١٠١- أم هارون

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال عبد العزيز : قالت أم هارون : وكانت امرأة خيرة وكانت من الخائفات العابدات وقد أنزلت منزلها وكانت تأكل الخبز وحده قالت: يأتى الليل ما أطيبه وإنى لأغتم بالنهار حتى يجئ الليل فإذا جاء قمت أوله فإذا جاء السَّحر دخل الروح قلبى.

قال أحمد بن أبى الحوارى: خرجت أم هارون تريد حاجة فصاح صبى لصبى خذوه فسقطت فوقعت على حجر فدميت فظهر الدم من مقنعتها .

قال أبو سليمان الدارانى: من أراد أن ينظر إلى صعق صحيح فلينظر إلى أم هارون ما كنت أظن أن يكون فى الشام مثل أم هارون .

قال أحمد بن أبى الحوارى: قالت لى رابعة: ما دهنت أم هارون رأسها منذ عشرين سنة فإذا كشفنا رؤوسنا كان شعرها أحسن من شعورنا.

وكانت أم هارون تأتى ببيت المقدس من دمشق فى كل شهر مرة على رجليها .

قالت: بينا أنا ببيسان فإذا قد عرض لى هذا الكلب تعنى الأسد فمشى نحوى فلما قرب منى نظرت إليه وقلت : تعال يا كلب إن كان لك رزق فكل فلما سمع كلامي أقعى ثم ولّى راجعاً.

قال لها ابن أبى الحوارى: يا أم هارون أتحبين الموت ؟ قالت: لا قال: ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله تعالى وقد عصيته والله أعلم.

ومنهن :

١٠٢- البيضاء من عابدات الشام

قال أحمد بن أبى الحوارى : قالت أسماء الرملية (وكانت من العابدات) سألت البَيضاء فقلت : يا أختى هل للمحب لله تعالى دلائل يُعرف بها ؟ فقالت: يا أختى والمحب للسيد يخفى ؟ لوجهد المحب للسيد أن يخفى ما خفى قلت: صِفيه لى فقالت: لو رأيت المحب لله تعالى لرأيت عجباً من والهٍ ما يقرّ على الأرض طائر مستوحش أُنسه فى الوحدة قد منع الراحة طعامه الحب عند الجوع وشرابه الحب عند الظمأ ولا يمل من طول الخدمة لله عز وجل والله أعلم.

* * *

ومنهن :

١٠٣- آمنة الرملية

قال جعفر ابن محمد صاحب بشر بن الحارث : اعتل بشر فعادته آمنة الرملية من الرملة فإنها عنده إذ دخل الإمام أحمد يعوده فقال: من هذه ؟ فقال: آمنة الرملية بلغها علتى فجاءت من الرملة تعودنى فقال: سلها تدعو لنا فقالت: اللهم إن بشراً وأحمد يستجيرانك من النار فأجِرهما ، قال الإمام أحمد: فانصرفت فلما كان من الليل طُرحت إلىّ رقعة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد فعلنا ولدينا مزيد) والله أعلم.



ومنهن :

١٠٤– مولاة أبى إمامة

من عابدات الشام.

قال عبد الرحمن بن يزيد : قالت لى مولاة لأبى إمامة : كان أبى إمامة يحب الصدقة ولا يرد سائلاً ولو تصدق ببيضة أو تمرة أو شئ مما يؤكل فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير فسأله سائل فأعطاه ديناراً ثم أتاه آخر فأعطاه ديناراً ، ثم آتاه سائل ثالث فأعطاه الثالث قالت: فغضبت وقلت : لم يترك لنا شيئاً قالت: فوضع رأسه لوقت القايلة قالت: فلما نودى للظهر أيقظته فتوضأ ثم راح المسجد قالت : ففرقت عليه أى حزنت وكان صائماً فافترضت ما جعلته عشاء له وأسرجت، وجئت إلى فراشه لأمهده له فإذا يذهب فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار قالت: فقلت ما صنع الذى صنع إلا وقد وَثِق بالذى خلَّف فأقبل بعد العشاء فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال: هذا خير من غيره قالت: فلما تعشى قلت له : رحمك الله خلَّفت هذه النفقة فى سبيل مضيعة ولم تخبرنى فأرفعها فقال: رأى نفقة؟ ما خلفت شيئاً ؟ قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآه أشتد تعجبه قالت : فقمت وقطعت زنّارى وأسلمت.

قال عبد الرحمن: فأدركتها فى مسجد حمصٍ وهى تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقهن فى الدين والله أعلم.

***

ومنهن :

١٠٥- عابدة من عابدات الشام

قال أحمد بن ابى الحوارى: بينا أنا ذات يوم فى بلاد الشام فى قبة من قبات المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد اسبلته فإذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت: من هذا ؟ فقالت: امرأة ضالة دلنى على الطريق رحمك الله عز وجل فقلت: عن أى طريق تسألين ؟ فبكت ثم قالت : عن طريق النجاة فقلت هيهات إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة وخذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة.

قال : فبكت بكاء شديداً ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع ثم خرت مغشياً عليها فقلت لبعض النساء: انظرن أى شئ حال هذه الجارية ؟ فقمن إليها فإذا وهبتها فى جيبها كفنونى فى أثوابى هذه ، فإن كان لى عند الله تعالى خيراً فهو أسعد لى وإن كان غير ذلك فبعد النفس فحركوها فإذا هى ميتة رحمة الله عز وجل عليها فقلت: لمن هذه الجارية ؟ فقالوا : جارية قرشية كانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها فكنا نصفها لأطباء الشام وكانت خلوا بينى وبين الطبيب الراهب يعنى أحمد بن أبى الحوارى أشكو إليه بعض ما أجد من بلاء لعله تكون عنده شفاء والله أعلم.

***



ومنهن :

١٠٦- عابدة من عابدات الشام

قال محمد بن سعد التيمى: رأيت جارية سوداء فى بعض مدن الشام وبيدها خوص تشقه وهى تقول مع شقه: لك علم بما يجن فؤادى فارحم اليوم ذلتى وانفرادى فقلت: يا سوداء ما علامة المحب ؟ وإذا رجل قد صرخ بالقرب منها فنظرت إلىَّ وإلى الرجل وقالت: يا بطَّال علامة المحب الصادق لله فى حبه أن يقول لهذا المجنون ثم يقول فإذا الرجل قد قام وإذا الجِنية تقول لها على لسانه: وحق صدق حبك لربك لا رجعت إليه أبداً والله أعلم.

***

ومنهن :

١٠٧- عابدة من عابدات مصر وإسمها

فاطمة

وتُعرف : بالصوفية لأنها كانت لا تنام إلا فى مُصلاَّها بلا غطاء فوق ستين سنة، وكان عمرها فوق ثمانين سنة والله أعلم.

***

ومنهن :

١٠٨- عزيزة

زوجها السيد الجليل الروذبازى المعرف بأبى على.
لها كلام نافع منه: كيف أرغب فى تحصيل ما عندك وغليك مرجعى وكيف لا أحبك وما لقيت الخير إلا منك وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتنى
وكانت تقول: لا ينتفع العبد بشئ من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال
وكانت إذا مر عليها جمال الحجيج تبكى وتقول : واضعفاه وتنشد:-
وما بال رغمى لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لم منهم بد
ثم تقول: هذه حسرة من إنقطع من الوصول إلى البيت فكيف ترى حسرة من انقطع من الوصول برب البيت والله أعلم.
ولهم فاطمة أخرى يقال لها : بنت عمران.
يقال أنها رابعة وقتها وكانت مقيمة على تعهد الفقراء والمساكين وأهل الحاجات والضرورات والغرباء فأعطيت مستجابة الدعوة وماتت على ذلك قدس الله روحها والله أعلم.

***

ومنهن :

١٠٩- تحية النوبية

من عابدات مصر.
قال السلمى: سمعت المالينى الصوفى يقول : سمعت تحية وهى تناجى ربها فتقول: يا من يحبنى وأحبه فقلت لها : يا تحية هى أنك تحبين الله تعالى من أين تعلمين أنه يحبك الله عز وجل فقالت: كنت فى بلد النوبة وأبواى كان نصرانيين وكانت تحملنى إلى النيسة وتجئ بى إلى عند

الصليب وتقول: قبلي الصليب فإذا هممت بذلك أرى كفاً يخرج فيرد وجهي حتى لا أقبله فعلمت أن عنايته بي قديمة والله أعلم.

***

ومنهن :

١١٠- عابدة من عابدات مصر

قال محمد بن شجاع الصوفي: كنت بمصر أيام سبأ حتى فتأقت نفسي إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخواني فقال لي : هنا امرأة صوفيه لها ابنه مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ.

قالت: فخطبتها فلما دخلت إليها، وجدتها مستقبلة القبلة، قال: فاستحييت أن تكون حبيبة في مثل سنها تُصلي، وأنا لا أصلي ، فاستقبلت القبلة، وصليت ما قدر لي حتى غلبتني عيناي فنمت في مصلاي ، ونامت في مصلاها، فلما كان اليوم الثاني: كان مثل ما كان أيضاً، فلما طال على قلت: يا هذه ما لاجتماعنا معنى فقالت لي: أنا في خدمة مولاي ومن له حق لا أمنعه، قال : فاستحييت من كلامها، وتمادت على أمري نحو الشهر ، ثم بدالي في السفر فقلت لها: يا هذه إني أريد السفر فقالت: مصاحباً بالعافية فقمت، فلماصرت بالباب : قامت فقالت لي: يا سيدي كان بيننا عهد في الدنيا لم نقض تمامه، عسى في الجنة إن شاء الله تعالى ، فقلت لها عشي فقالت: أستودعتك الله خير مودع قال: فتودعت منها وخرجت ، ثم جئت مصر بعد سنين فسألت عنها ؟ فقيل لي : هي أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد ، والله أعلم.

قال حجاج بن دينار: دخلت أنا وابن أبى رفاعة مسجد الأسكندرية، فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت الناس ، وعن النساء ، وجعلت حولها حظيرة من حجارة، فتقدم إليها ابن أبى رفاعة وقال لها: ما لى أراك قد اعتزلت النساء وجعلت حولك هذه الحجارة ! فقالت: يا أبا عبد الرحمن ! كلمة من هذه، وكلمة من هذه وقد ذهب الوقت ، والصيام ، وابتدلت الطاعات بالآثام، فالتفت إلى ابن ابى رفاعة وقال: ترى هذه سمعت من مالك شيئاً ! يعنى أن الله تعالى هو الذى بصرها فيه.

شتان بين هذه المؤمنة ! وبين من لا تهدى نفسها حتى تأتى بنفسها إلى من يحاددثها ويطلق لسانها ! فما تقوم إلا بمكاره من الآثام، مع فساد الصيام. ومنهن.

***

ومنهن :

١١١ – عابدة وجدت بعرفات

قال عبد الله بن داود الواسطى : بينا أنا واقف بعرفات : إذا أنا بامرأة وهى تقول: ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [الكهف : ١٧] فقلت : امرأة ضالة ، فنزلتُ عن بعيرى وقلت لها : يا هذه ما قصتك ؟! فقالت ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦] فقلت فى نفسى : حرورية ترى كلامنا ، فقلت:



مـــن أين أنت ؟! فقرأت ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الاســـراء :١] فأركبتها بعيرى ، وقدت بها أريد رجال بيت المقدس، فلما توســطت قــلت لها: يا هذه لمن أصوت؟! فقرأت: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَـــاحْكُم بَيْـــنَ الـــنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾
[ص:٢٦]﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مـــريم :٧] ﴿ يَـــحْيَى خُـــذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم : ١٢] فـــناديت : يا زكريا ، يا يحيى ، يا داود فخرج ثلاثة فتيان من بين الرجال فقـــالوا : آمنا ورب الكعبة ، ضلت منذ ثلاث، فأنزلوها وأكرمونى، فقلت: ما لها لا تتكلم ؟! فقالوا: ما تكلمت منذ ثلاثين سنة ! مخافة أن تزل.
والله أعلم.

* * *

ومنهن :

١١٢- عابدة كانت بالطواف

قال مالك بن دينار : بينا أنا أطوف بالبيت : إذا أنا بجويرية متعبدة، وإذا هى تقول : يا رب كم من شهوة قد ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها ، يارب ما كان لذلك عقوبة ولا أدب إلا النار ، فوالله ما زلت كذلك حتى طلع الفجر، قال مالك: فوضعت يدى على رأسى ثم صرخت ، وجعلت أقول: تكلت مالكاً أمه، وعدمته جويرية منذ الليلة ، قد بطلته والله أعلم.

ومنهن :

١١٣- عابدة

قال عبد العزيز بن أبى داود : دخل قوم حجاج ومعهم امرأة وهى تقول: أين بيت ربى ؟ فتقول : الساعة ترينه فلما رأوه قالوا : هذا بيت ربك فخرجت تنشد وتقول : بيت ربى حتى، وضعت جبهتها على البيت فوالله ما رفعت إلا ميتة والله أعلم.

***

ومنهن :

١١٤- عابدة وجدت عند البيت

قال إبراهيم بن مسلم: وقفت امرأة متعبدة فى جوف الليل فتعلقت بأستار الكعبة ثم بكت وقالت: يا كريم الصحبة ويا حسن المعونة أتيتك من شُقة بعيدة متعرضة لمعروفك الذى وسع خلقك فأنلنى من معروفك معروفاً تغننى به عن معروف من سواك، يا أهل التقوى وأهل المغفرة ثم صرخت صرخة سقطت لوجهها والله أعلم.

***



ومنهن :

١١٥- عابدة وجدت عند الكعبة "شرفها الله تعالى"

قال سعيد بن الأزرق : دخلت الطواف ليلاً فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة فى الحجر ملتزمة البيت قد علا نشيجها فدنوت منها فسمعتها وهى تقول:
يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الأوهام والظنون ولا تغيره الحوادث ولا تصفه الواصفون يا عالماً بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار أسألك أن تجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم لقائك وخير ساعاتى مفارقة الأحباء من دار الفناء إلى دار البقاء التى تكرم فيها من أحببت من أوليائك، أسألك يا إلهى عاقبة جامعة لخيرى الدنيا والآخرة مَنا منك وتطولاً، ياذا الجلال والإكرام ثم صرخت وغُشى عليها والله أعلم.

***

ومنهن :

١١٦- عابدة رأيت فى الطواف

قال ذو النون المصرى : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام بينا أنا أطوف إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة يبكى ويقول : كتمت هواى عن غيرك وبحت بسرى إليك واشتغلت بك عن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك، ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما

أرعويت وسترك فما استحييت وسلبك حلاوة المناجاة فما بالبيت عزيزى مالى إذا قمت بين يديك ألقيت علىَّ النعاس ومنعتنى حلاوة الخدمة لم قرة عينى لمة ثم أنشأ يقول:

روعت قلبى بالفراق فلم أجد شئ أمر من الفراق وأوجعا

حسب الفراق بأن يفرق بيننا فلطال ما قد كنت منه مفزعاً

فلم أتمالك أن أبيت الكعبة مستخفياً فلما أحس بى تخلل بخمار كان عليه ثم قال ياذا النون: غض بصرك فإنى حرام فعلمت أنها امرأة فقلت: والله لقد شغلنى قولك عن كثير مما كنت فيه فقالت: ولمَ عافاك الله عز وجل، أما عملت أن لله عباداً لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره والله أعلم.

***

ومنهن :

١١٧- عابدة وجدت فى الطواف

قال ذو النون المصرى: كنت فى الطواف فسمعت صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: أنت تدرى يا حبيبى من حبيبى أنت تدرى ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرى، يا حبيبى قد كتمت الحب حتى ضاق صدرى.

قال ذو النون : فشجانى ما سمعت حتى انتحبت وبكيت وقالت: إلهى وسيدى ومولاى بحبك لى إلا ما غفرت لى قال: فتعاظمنى ذلك وقلت : يا جارية أما يكفيك أن تقولى بحبى لك تقولى بحبك لى؟ فقالت: إليك ياذا النون أما علمت أن الله تعالى قوماً يحبهم ويحبونه فسبقت محبته لهم قبل

محبتهم لـــه؟ فقلت: من أين علمت أنى ذو النون ؟ فقالت : يا بطَّال جالت القلوب فى ميدان الأسرار فعرفتك ثم قالت: انظر خلفك فأدرت وجهى فلا أدرى السماء ابتلعتها أم الأرض ابتلعتها والله أعلم.

***

ومنهن :

١١٨- عابدة رؤيت عند الكعبة

"شرفها الله تعالى"

قال أبو الأشهب السائح: بينما أنا فى الطواف إذا بجويرية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: يا وحشتى بعد الأنس ويا ذلتى بعد العز ويا فقرى بعد الغنى فقلت لها: مالك أذهب لك مال أو أحبت بمصيبة ؟ فقالت: لا ولكن لى قلب فقدته : وهذه مصيبتك فقالت : وأىُّ مصيبة أعظم من فقد القلب وانقطاعه عن المحبوب فقلت لها : إن حُسن صوتك قد عطل على من سمع الكلام الطواف فقالت: يا شيخ البيت بيتك أم بيته والحرم حرمك أم حرمه ؟ فقلت: بل حرمه فقالت: فدعنا نتدبر عليه على قدر ما استزارنا إليه ثم قالت: بحبك لى إلا ما رددت قلبى فقلت : من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: جيّش من أجلى الجيوش وأنفق الأموال وأخرجنى من دار الشرك وأدخلنى فى التوحيد وعرَّفنى نفسه بعد جهلى إياه فهل هذا إلا العناية؟ فقلت: فكيف حبك له ؟ فقالت: أعظم شئ وأجله؟ قلت: تعرفين الحب؟ فقالت: إذا جهلت الحب فأبى شئ أعرف لحلو المحبتنى ما إقتصر فإذا

أفرط عاد خبلاً قاتلاً وفساداً معضلاً وهو شجرة غرسها كريه ومجناها لذيذ ثم أنشأت بعد أن ولت وهى تقول:

وذو قلق لا يعرف الصبر والعزا   له مقلة عبر أضربها البكا
وجسم نحيل من شجى لا عج الهوى   فمن ذا يداوى المستهام من الضنا
ولا سيما والجد صعب مرامه   إذا عطفت منه العواطف بالفنا

***

ومنهن :

١١٩- عابدة وجدت فى الطواف

قال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه: حججت مرة على الوحدة فجاورت بمكة فكنت إذا جن الليل دخل الطواف فبينا أنا ذات ليلة إذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته   فأصبح عندى قد أناخ طنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره   وإن رمت قرباً من حبيبى تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا به له   ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

فقلت: يا جارية أما تتقين الله عز وجل فى مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا فألتفتت إلىَّ وقالت: ياجُنيد لولا التقى لم تَرنى أهجر طيب الوسن إن التقى شردنى كما ترى عن وطنى أفر من وجدى له فجنه هيمنى ثم قالت: يا جُنيد تطوف بالبيت أم برب البيت فقلت: أطوف بالبيت فقالت: سبحان الله ما أعظم مشيئتك فى خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم انشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربه إليك وهم اقسى قلوباً من الصخـــــر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم؟ وحلَوا محل القرب فى باطن الفكر
فلو أخلصوا فى الوُدّ جلت صفاتهم وقامت صفات الود للخلق بالذكر

***

ومنهن :

١٢٠- عابدة وجدت فى طريق السياحة

قال ذو النون المصرى: بينا أنا أسير فى البادية رأيت امرأة متعبدة فلما إن دنت منى سلمت علىَّ فرددت عليها السلام فقالت: من أين أقبلت ؟ قلت: من حكيم لا يوجد مثله، فصاحت وقالت: ويحك فارقته وهو أئنس الغرباء فأوجع قلبى كلامها فبكيت فقالت لمَ : ممَّ بكاؤك ؟ فقلت : وقع الدواء على الداء فأسرع فى نجاحه فقالت: إن كنت صادقاً فلمَ بكيت ؟ فقلت: والصادق لا يبكى : فقالت : لا لأن البكاء راحة للقبل وهذا نقص عند ذوى العقول يا بطال فقلت: علمينى شيئاً ينفعنى الله عز وجل به فقالت: ويحك ما أفادك الحكيم من الفوائد بشئ تستغنى به عن طلب الفوائد فقلت: إنى رأيت أن تعلمينى شيئاً فافعلى فقالت: اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه وإنه سبحانه وتعالى سقاهم فى الدنيا من محبته كأساً لا يظمأون بعدها أبداً ثم أقبلت تبكى وتقول: سيدى إلى كم تدعنى فى دار لا أجد فيه أمرئ يساعدنى على بلائى ثم مضت وهى تقول:

إذا كان دأب العبد حب مليكه فمن دونه يرجو طبيباً مداوياً

***

ومنهن :

١٢١- عابدة وجدت فى السياحة

قال ذو النون : كنت فى تيه بنى إسرائيل ومعى صاحب لى فرأيت امرأة عليها مدرعة من شعر وخمار صوف يدها على عكاز من حديد فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت: عليك السلام ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله تعالى فقلت: أخوك ذو النون المصرى فقالت: حياك الله بالسلام فقلت: فما تصنعين هنا ؟ قالت: كلما أتيت إلى بلد يعصى فيها الحبيب خاف على ذلك البلد فانا أطلب بقعة طاهرة أخر عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه فقلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك فأى شئ المحبة ؟ فقالت: سبحان الله العظيم وأنت الواعظ الحكيم وتسألنى ثم قالت : أول المحبة تبعث على الكدّ الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى اعلاء الصفات جرعهم من محبته لذيذ الكؤس ثم صرخت وخرَّت مغشياً عليها ثم أفاقت وهى تقول:

أحبك حبيى حب الرضـــا   وحباً لأنك أهــل لـــــــــذاك
فأما الذى هو حب الرضــا   فذكر شغلت به عن ســـواك
وأما الذى أنت أهل لـــــه   فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

***

ومنهن :

١٢٢- عابدة وجدت فى السياحة

قال ذون النون المصرى : بينا أنا أسير فى جبال أنطاكية إذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت على السلام ثم قالت : ألست ذا النون فقلت : عافاك الله بمَ عرفتنى ؟ فقالت : عرفتك بمعرفة حب الحبيب ثم قالت : أسألك عن مسألة ؟ فقلت: سلى فقالت : أى شئ السخاء ؟ فقلت : البذل والعطاء فقالت: هذا فى الدنيا فى السخاء فى الدين فقلت : المسارعة فى طاعة الله عز وجل فقالت : فإذا سارعت إلى طاعة الله تعالى فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً ويحك ياذا النون إنى أريد أن أطلب منه شهوة منذ عشرين سنة فأستحى منه مخافة إذا أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأخيرة ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله ثم مرت وتركتنى رضى الله عنها.

***

ومنهن :

١٢٣- عابدة وجدت فى السياحة

قال ذو النون المصرى : بينا أنا أسير فى تيه بنى إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن فقلت : السلام عليك يا أختاه فقالت: وعليك السلام ياذا النون : فقلت: ومن أين عرفتنى ؟ فقالت: يا بطَّال أن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام ثم أدارها حول

العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فعرفت روحى روحك فى ذلك الجولان فقلت: إنى لأراك حكيمة فعلمينى شيئاً مما علمك الله فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله تعالى ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عز وجل فعند ذلك يقسمك بالباب ويؤتيك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت: زيدينى فقالت: خذ من نفسك لنفسك وأطع الله عز وجل إذا خلوت بحبك إذا دعوت.

***

ومنهن :

١٢٤- عابدة من عابدات السواحل

قال ذو النون المصرى : بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ أبصرت جارية عليها خمار شعر وإذا هى ناحلة ذابلة فد نوت منها لأسمع ما تقول فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان فعصفت الرياح واضطربت الأمواج فصرخت ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت ثم نادتْ : يا سيدى بك تفرد المتفردون فى الخلوات ولعظمتك سبحت النينان – أى الحيتان – فى البحار الزافرات ولجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار وكل شئ عنده بمقدار ثم انشأت تقول:

يا مؤنس الأبرار فى خلواتهم يا خير من حطت به النزال

***



ومنهن :

١٢٥- عابدة مغربية

قال عامر بن أسلم : كانت لنا جارية في الحي يقال لها : هندية فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ والدها وزوجها فتقول: قوما فصليا فستعظان بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها معهما فرأى زوجها في منامه:

إن كنت تحب أن تكون زوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها فلم يزل ذلك دأب الشيخ حتى مات فرأى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما في الجنة فاخلفها في أهلها مثل عملها فلم يزل ذلك دأبه حتى مات فكانوا يدعون القوامين والله أعلم.

***

ومنهن :

١٢٦- عابدة من عابدات العرب

قال أبو بكر الهذلي: فكانت عابدة تقول: عاملوا الله عز وجل على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره عليكم، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه والله أعلم.

وكانت إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب ثم تقول : المحب لا يسأم من خدمة حبيبه فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور.

قال أبو بكر الهذلى: فعوتبت فى كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسى إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى وإنى لآتى القبور فكأنى انظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى انظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيره وإلى تلك الأكفان الدسمة فياله من منظر لو أشربه العباد قلوبهم ما أنكل حرارته للأنفس وأشد إتلافه للأبدان والله أعلم.

***

ومنهن :

١٢٧- عابدة من عابدات البدو

وقال ابن السماك : ورد نفر على عجوز فى بعض البوادى فسألوها بيع شاه فقالت: ما كنت لأبيع لابن السبيل شيئاً ولكن خذوها على ما عند الله تعالى ثم بكى ابن السماك وقال: رحمها الله لقد فقهت فى بدوها والله أعلم.

***

ومنهن :

١٢٨- عابدة من عابدات البوادى

قال أبو زكريا الشيرازى: تهت فى بادية العراق أياماً كثيرة فلم أجد شيئاً أرتفق به فلما كان بعد أيام رأيت فى الغلاة ضباء شعر فقصدته فإذا بيت وعليه ستر مسيل فسلمت فردت على عجوز من داخل الخباء وقالت: يا إنسان من أين أقبلت؟ قلت: من مكة وقالت: وأين تريد؟ قلت : الشام فقالت: أرى شبحك شبح إنسان بطال إلا لزمت زاوية تجلس فيها حتى يأتيك اليقين ثم تنظر هذه الكسيرة من أين تآكلها ثم قالت: أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم



فقالت: إقرأ على آخر سورة الفرقان فقرأتها فشهقت وأغمى عليها فلما أفاقت بعد هوى قرأت هى الآيات فأخذت قرأتها منى أخذاً شديداً ثم قالت: يا إنسان اقرأها ثانية فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها فى الأول فصبرت أكثر من ذلك فلم تفق فقلت : كيف أستكشف حالها.

أماتت أم لا ؟ ثم تركت البيت على حاله ومشيت أقل من ميل فأقبلت على واد وأجد فيه إعراباً فأقبل إلى غلامان معهما جارية فقال: أحد الغلامين يا إنسان أتيت البيت فى الفلاة ؟ قلت : نعم وقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قال: قتلت العجوز ورب الكعبة فمشيت مع الغلامين والجارية حتى أتينا البيت فدخلت الجارية فكشفت عنها فإذا هى ميتة فأعجبنى خاطر الغلام فقلت للجارية: من هذان الغلامان فقالت: هذان جعافرة وهذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تستأنس بكلام الناس إذا انزلنا توارى بيتها فى الفلاة وتأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة وتشرب شربة والله أعلم.

***

ومنهن :

١٢٩- عابدة من عابدات البوادى

قال هشام: خرجنا حجاجاً نزلنا منزلاً فى بعض الطريق فقرأ رجل معنا هذه الآية ﴿ **سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾ [الحجر : ٤٤] فسمعت المرأة القراءة فقالت لى: سبعة أعبد أشهدكم أنهم أحرار لكل باب واحد منهم والله أعلم.

***

ومنهن:

١٣٠- عابدة من عابدات البوادى

قال أبان : رأيت أعرابية تمرض ابناً لها، فلما أفاض غمضة ثم تنحت عن مقعدها عند رأسه ورجعت إلى مجلسها تجاهه ثم قالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية وأسبغت عليه النعمة وأطيلت له النظرة أن يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته والحيال بينه وبين نفسه قال: فأجابها أعرابى : أنا لم نزل نس مع أن الجزع إنما هو للنساء فلا يجزعن رجل بعدك بمصيبته ولقد كرم صبرك وما أشبهت النساء فأقبلت عليه وقالت: ما من رجل بين الصبر والجزع إلا أصاب بينهما منهجين بعيدىّ التفاوث فى محالهما، أما الصبر: فحسن العلانية محمود العاقبة، وأما الجزع: فغير معوض مع سائمه ولو كان رجلين فى صورة كان أولاهما بالغلبة وحسن الضرورة بالغلبة وحسن الصورة مع الطبيعة فى عاجله من الدين وآجله وكفى ما وعد الله فيه لمن ألهمه إياه والله أعلم.

* وقد ذكرنا نبذة يسيرة من أحوال هذه الخيرات وهن بحمد الله تعالى كثيرات ومن يقدر على حصرهم وهن متفرقات فى القرى والفلوات بل من رأيهم إخفاء أنفسهم وكتم ما يحصلنه من الطاعات.

فلهذا فتح عليهن بهذه المزايا والكرامات وترى إحداهن لو قطعت ما أظهرت من سرها قدر خردلة إلى الممات لأن سر الملك إظهاره هو والله أشد من إراقة الدم لأنه سبب توالى الحسرات.

ومن علامات صدق حال السالكة أن لا ترمز بشئ من ذلك ولو قطعت أرباً ولو باللحظات، ومن علامة طرد السالكة بغير صدق أن تتحلى بذكر ما يصدر منها لاسيما عند مخافة المخدوعات.

فأسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكن إلى ما فيه رضى ربنا إنه رب الظاهر والطويات، وأن يرزقنا الصدق فى جميع الحركات والسكنات إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

***

فصل يتعلق بأسباب المحبة للمحبوب

وهذا فيمن لا يرزقهم إلا باكتساب، أما من منحه الله تعالى بذلك فهذا قد حصلت لـــه العناية وقد سلك والله بلا تكلف فى سبيل النهاية وكلا القسمين فى القرآن العظيم "يعنى المحبة الأصلية والمحبة المكتسبة".

فالأصلية مثل قوله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٥٤] واسع القدرة والعطاء ، عليم بكل شئ ومن هو أهل لذلك.

وهذه المرتبة وهى عدم خوف لوم اللائم هى المرتبة العالية، لأن ما سوى الله عـــز وجل عندهم محو فهو بمنزلة العدم ومن هو فى حكم العدم كيف يـــتخيل ذو اللب منه شيئاً . ولهذا تراهم يعجبون بمن يتخيل من ذلك شيئاً ويقولـــون: الآدمى بمـــنزلة الخشبة بمعنى أنه لا ضرر له لنفسه ولا نفع فكيـــف بالغير فلما ذاقوا طعم ﴿ **وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة :٥٤]

مـــات مـــا سواه عندهم فزهدوا فى هذا العالم وفيما فى أيديهم فمكنهم فيما أرادوا مـــن خـــزائن منه فإذا همّ بهم أمر من جوع أو غيره نزلت عليهم الموائد من حيث لا يحسنبون لأن هذه ثمرة ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾
[فاطر : ٢] وحكايتهم فى مثل ذلك وأشباهه كثيرة.

قال الليث بن سعد: حججت سنة ثلاثة عشرة ومائة فأتيت مكة فلما صليت العصـــر رقيـــت أبا قبيس فإذا برجل جالس وهو يدعو فقال: يارب يارب حـــتى انقطـــع نفســـه ثـــم قال: يا حى حتى انقطع نفسه ثم قال: يا أرحم الـــراحمين حـــتى انقطـــع نفســـه ثم قال: اللهم إنى أشتهى من هذا العنب فأطعميـــنى، اللهم أن بردى قد خلقا قال: فوالله استمعتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة وليس على وجهه الأرض يومئذ عنب وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك فقال : فلم ؟ فقلت : لأنك كنت تدعو وأنا اؤمن فقال لى: تقدم وكل ولا تخبأ منه شيئاً فتقدمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط وإذا عنب لاعجم له فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئاً ثم قال : خذ أحب البردين فقلت: أما البردين فأنا غنى عنهما فقال لى: توارى عنى حتى ألبسهما فتواريت عنه فأتزر بأحدهما وأرتدى بالأخرى ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يده فانبعث حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقـــال لـــه: اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله فدفعها إليه فلحقت الرجل فقـــلت: مـــن هذا ؟ فقال: جعفر بن محمد قال: فطلبته لأسمع منه فلم أجده رضى الله عنه.

وقد ذكرت فى أول الكتاب الكرامة التى وقعت لأم أيمن ونزول الدلو من السماء عليها وكرامات الأولياء كثيرة لا تكاد تحصر والله أعلم.

ومن الآيات الدالة على المحبة الأصلية قوله تعالى فى موسى عليه السلام: **﴿ أَنِ اقْذِفِيـــهِ فِـــي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَـــدُوٌّ لَّـــهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾** [طه : ٣٩] والله أعلم.

وأما المحبة المكتسبة فقد ذكرها الله تعالى أيضاً فى كتابه العظيم فقال عز من قائل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم : ٩٦] فهـذه المحبة المكتسبة بالعمل الصالح والمتجر الزكى الرابح وهى بأعمال ذكرها الرب أيضاً سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز:-

مـنها العـدل: قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات : ٩].

ومنها الإحسان: قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٥].

ومـنها الجهاد: قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٤].

ومـنها الصبر : قال الله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران :١٤٦].

ومـنها التطهر:قال الله تعالى:﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة : ١٠٨].

ومعناه:والله أعلم إن أردتم محبتى فتطهروا لأداء خدمتى.

ومـنها الاتقـاء: قـال الله تعـالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة : ٤].

وقـــال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣].

وفي الخبر: "عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير".

ولابد من ذكر التقوى ليعرف الشخص اين هو في التقوى وقد ذكرته فيما بعد.

ومـــنها التوكل: قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَـــلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

فهذه الخصال وأشباها هي أسباب المحبة فإن وقع منكم تقصير في فعل هذه الأشياء.

فاجتنـــبوا الأشـــياء الـــتي لا يحبها الله تعالى وهي أيضاً مذكورة في كتابه العزيز.

منها الإسراف : قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الاعراف : ٣١].

ومـــنها الظـــلم: قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران : ٥٧].

والظلم أنواع كثيرة لا تكاد تحصى فالحذر الحذر منه.

ومنها الاعتداء : قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

والاعتداء أنواع كثيرة لا تكاد تنحصر فالحذر الحذر.

ومـــنها الخيانة: قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨].

ومنها الفساد: قال الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِـــيبَكَ مِـــنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧].

ومنها الإختيال والفخر : قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦].

ومـــنها الجهر بالسوء: قال الله تعالى: ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٨]

فهذه الأمور وأشباها من الأسباب المهلكة فالحذر الحذر من تعاطيها والله أعلم.

وإذا عرف ذلك فلابد من ذكر المحبة فقد تلبس النفس الأمارة.

إن الشخص يحب وليس كذلك فالحذر الحذر من تلبس النفس فإنها أمارة بالسوء فمن أين يحصل التى هى أعز المكاسب أعلى المطالب وأنا أضرب مثلاً يقرب معرفة ذلك ثم أذكر المحبة:-

ترى الشخصى إذا كان له ولد قد آنس به وتتابع عليه بره تشغف به لأجل ذلك فتراه يتسوس به فى غالب أحواله ويغار عليه حتى من نومه على غير الحالة التى يكون فيها غير مسترح ويلمح به عند الأحباء والأخلاء ويقرع بإحسانه عند المبغضين والأعداء ويجد لذلك لذاذة وحلاوة.

فبالله هل يجد مدعى محبة الله تعالى ذلك وإذا علمت ذلك فليتق الله الشخصى فى دعوى محبة الله تعالى وهو يعلم منه خلاف ذلك فإن الدعوى مع الكذب من أسباب مقت الله تعالى : ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الصف :١] والمقت أشد البغض وقيل: البغض الشديد.

نسأل الله تعالى السلامة من ذلك.

وقد اختلفت عبارات القوم فى المحبة فقيل: المحبة فقد النوم والعزلة عن القوم وقيل: المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

كذا قاله محمد بن الفضيل: ومن يقدر على ذلك والقلب محشو بمحبة هذه المزبلة ويؤيد هذه المقالة قول بعض السلف: إنما سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقيل: المحبة استيلاء المحبوب على السرد أسهار القلب بدوام الذكر.

وقيل المحبة : استواء الحضور والغيبة وارتفاع القرب والبعد.

وقيل: الحب حاء وباء فالحاء: من الروح والباء: المبعدون فمن أحب فليخرج من روحه وبدنه.

ولتعلم أن المحبة لنا دليل فإن فقد فليعرف الشخص أنه غير محب ويكون حينئذٍ طمأنينة النفس بأن الشخص محب من حذيقة النفس.

ودليل المحبة: حصول الخشية.

قال السيد الجليل المتفق على توثيقه وجلالته عبد الله بن المبارك : من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع.

وما قاله صحيح، ألا ترى أن الشخص إذا كان من يحبه يتخوف منه فى كل لحظة منه لشدة محبته أن ينأى عنه.

ومن علامات المحبة: أن لا يصدّ المحب عن محبوبه صادّ سواء كان بالإحسان أو بالاوى، ألا ترى لما دخل على الشبلى جماعة فقال لهم: من أنتم ؟ فقالوا : نحن أحباؤك فأخذ يرميهم بالحجارة ففروا منه فقال لهم: تهربون لو كنتم أحبائى ما فررتم من بلائى .

واعلم أن من فاته المحبة فقد فاته خير كثير ومن المصائب العظيمة فقدانها وأعظم من ذلك عدم السعى فى تعاطى أسبابها وأعظم من ذلك كله التشاغل بغيرها فإن ذلك يلهى ويوقع فى الردى فينبغى التنبه من سكرة الغفلة فإن الطالب لا يفتر وهو يقرب كل يوم منزلة وأنت تتقدم إليه مرحلة المرء فى سنة غفلته غار عليه طالبه فطلب المهلة حين لات مناص.

تفكروا فى سلفكم قبل والله تلفكم، وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم وتأهبوا يا إخوانى وأخواتى لأجل رحيلكم قبل آوان تحويلكم، أين الأحباء والأخوات والإخوان. أين من كان والله زين الجماعة والمكان أين من حصن وشيد وبنى وبان ؟ رحلوا والله عن عامر الأوطان وأنزلوا والله فى مكان لا يصلح لتلك الوجوه الحسان ورقعت فى تلك الخدود الديدان وتحققوا والله صدق﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن : ٢٦].

كم طوى الموت من نعيم عبيد	وديار من أهلها أخـــــلاهـــــا
ورماها بالبين سهـــا فأصمى	وعن الملك والنعيم لهــــاهــــا
أين من كان ناعماً فى قصور	بُعلى المكرمات سُدَّت عُلاهـــــا
قد جناها من ريـــــاح صباء	نحوها بعد أنسها وقلاهـــــــا



والله أعلم.

غيره :

المرء ضيف بـــدار لا مقام لها　　فيها الفجائع والردعات ترتـــدف
واذكر سبيلاً فظيعاً أنت سالكه ما عن ورود خيام الموت منصـــــرف
واذكر تجرع كأس أنت شاربها　　وأنت منجرد في غمـــرة دلـــــف
والنفس في سكرات الموت دائبة　　والقلب في قلق والصدر يرتجف
وغادروك بأطباق الثرى وغدوا　　ما أنسوك ولا أسوو ولا صرفوا
عنك الشدائد بل خلفت منـــجدلا　　ممهد من صعيد القـــبر ملتحف
وخلفوا قريباً لا وساد له ممهد　　من صعـــيد القــــبر ملتحـــف

***

فصل في الأسباب المهلكات

وسنوضحها مع أنها ليست بالخفيات إلا أن الذكرى تنفع المؤمنين والمؤمنات وأما الغافل والمتعامي عن الأضبار والآيات فلا كلام معه لأنه رهين الشهوات وقد غرق وغرقت في بحار الموبقات.

نسأل الله تعالى العافية من ذلك إنه ولي النيات .

ولا شك أن أسباب الهلكة كثيرة جداً ولا تكاد وتنحصر فنذكر نبذة يسيرة منها ونذكر توعد صاحبها عليها من العقوبات فإنه أدعى إلى التوبة والابتهال من التخلص من ذلك إلى رب السموات.

***

فمن الأسباب المهلكات الحسد

عافانا الله منه وهو صفة خبيثة ذم الله تعالى متعاطيها ذماً بليغاً ويكفى فى ذمها ما توعد عليها من العذاب على ما أذكره.

إنها صفة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأى مصيبة أعظم من ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النساء أية :٥٤]

فالحسد صفة المغضوب عليهم والضالين نسأل الله الكريم العافية من ذلك.

وأشد من ذلك ما ذكر بعضهم: أن الحسد يؤدى إلى محذور عظيم لأنه منازعة فى الربوبية وعدم رضا بما قسمه الله تعالى وحكمته قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النساء : ٥٤] وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه الصفة فقال:

«**لا تحاسدوا**» [١]. رواه البخارى.

فالحاسد مخالف لله ورسوله وقد حذر رسول الله ﷺ تحذيراً بليغاً فقال: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب ، أو قال العشب**» [٢]. رواه أبو داود من رواية ابى هريرة ورواه ابن ماجه من

---

(١) صحيح : رواه البخارى ٨/٩، ١٠، ١١ ومسلم (١/٣٩٩)، وأحمد فى المسند (١/٣) ، (٥/١٧).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود ١٠٤٨ فيه.

حديث أنس وقد سمى رسول الله ﷺ الحسد داء. فقال: «**دب إليكم داء الاسم قبلكم الحسد والبغضاء**» (١). رواه الترمذى.

وسمى رسول الله ﷺ الحساد أعداء فقال:

«**إن لنعم الله أعداء قيل: من أولئك؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**» (٢). رواه الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

وفيه أن لأهل النعم حساداً فاحذروهم ، وفى حديث «**ستة يدخلون النار قبل الحساب فقيل: يا رسول الله من هم ؟ فذكر منهم الجور والحساد**»(٣).

والآيات والأخبار فى ذم الحسد كثيرة وفيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع، ولابد من معرفة الحسد ليتجنبه المؤمن الطالب للخير المبعد نفسه عن هذه الأسباب المهلكات فى النار.

الحسد: عبارة عن تمنى زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت النعمة ديناً أو ديناً وإذا عرفت أيتها المؤمنة ذلك فطرأ عليك نوع من الحسد فعليك بالمبادرة إلى التوبة واحرصى على خلاصك من وقوعك فى حفرة من حفر النار ومن يقدر على النار، وليس من الحسد المذموم أن يحب الشخص أن يكون له مثل ما أعطاه الله لأخيه المؤمن من خير.

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد فى المسند (١/١٦٧).

(٢) **ضعيف** : أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥/٨٢ ، ٢٧٠).

(٣) **ضعيف** : أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥/٨٢، ٧٠).

ففى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكة فى الحق ، ورجل آتاه الله تعالى حكمة فهو يقضى بها أو يعلمها**» [(١)]. رواه البخارى ومسلم.

ومعناه: ينبغى أن لا يغبط أحد إلا على إحدى خصلتين وهذا ليس من الحسد فى شئ بل ذلك قصد صالح ونية مباركة يثاب الشخص عليها.

ففى حديث كبشة عمر بن سعد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكن حديثاً فاحفظوه، فأما الذى أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد بصدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله به عزاً ، ولا فتح باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر**، وإنما الذى **أحدثكم حيثا فاحفظوه** فإنه قال: « **إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله فيها مالاً وعلماً فهو يتقى به ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحققه فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: له أن لى مالاً لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لى مالاً عملت بعمل فلان فهو نيته ووزرهما سواء**» [(٢)].

رواه الترمذى وقال: إنه حديث حسن صحيح والله أعلم.

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (١/٢٨) ، (٢/١٣٤) (٢/٢٠١) (٩/٧٨ ، ١٢٦).

(٢) حسن : أخرجه الترمذى (٢٣٢٥) وأحمد فى "المسند" (٤/٢٣١).

ومن الأسباب المهلكة حب الدنيا

ومنه تولد الحسد، وكل فتنة وسبب حبها تزداد المصائب ووينقطع الشخص بحبها عن كل خير ويُوقع نفسه فى كل شر والقرآن العظيم طافح بذمها وذم أهلها وأما الأخبار فأكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر، والحامل للناس على حبها فقهاء زماننا وفقراتهم لأنهم غارقون فيها غرق الحيتان البحرية، حتى أن أحدهم لو فتر عنها كاددت نفسه تزهق قبحهم الله تعالى على ذلك فإنهم أهلكوا أنفسهم وصدوا الناس عن الخير تبعاً بتعاطيهم ذلك، ومن عرف من العلم طرفاً يسيراً قطع بأنهم على حالة خبيثة لا يرضاها لنفسه حيوان بخس ، والجاهل يغتر بأفعالهم ويعمى عن معنى أقوالهم.

وبين الأقوال والأفعال مناقضة ظاهرة لا تخفى فترى الفقيه منهم ينثر من فيه درراً ويسير بأفعاله المخالفه لأقواله القهقرى.

وترى الصوفى قد صغى قلبه نحو الزبلة ويظهر بتمويهه وقوله الزهد فيها ولو جاء قدر التتير من غلول **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف : ٢].

وقد كان بعض العلماء إذا مرت هذه الآية على فكرة يتمغص بطنه أياماً من خوف المقت ويقول: المقت: البغض الشديد أو أشد لا حول ولا قوة من هذه المصيبة الجسيمة والله أعلم.

***

ومن الأسباب المهلكات "الاحتقار "

وهـو حـرام ومعصـية شـديدة لا سيما للضعفاء من الآرامل واليتامى والمسـاكين فهو أشد تحريماً وأعظم شراً ، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَـنُوا لا يَسْـخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَـى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات:١١] فمن احتقر مسلماً أو مسلمة تكبرًا أو ترفعًا لجمالها وثروتها وجاهها سواء كان بقلبها أو قولها كيا شحاذة ، يا خملة ، يا صفراء ، يا امرأة الفقراء، اشتغلى بفقـرك اشتغلى بوحاشتك ، بعورك ، بوحاشة روحك ، بفقر ولدك ونحو ذلك فقد خالفت رب العزة ووقعت فى شر عظيم قال رسول الله ﷺ :

«**بحسب امرء من الشر أن يُحقر أخاه المسلم**» [١].

رواه مسلم فى صحيحه.

وهـذا الاحتقار المهلك سببه الإعجاب والتكبر وذلك داء مهلك وهو حرام وقد نهى الله تعاللى وأخبر رسول الله ﷺ أنه لا يدخل الجنة وبأنها مصيبة عظيمة وفتنة جسيمة قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨] ومعنى تصعر خـدك أى تميـل وتعـرض عن الناس تكبراً عليهم كما يفعله أهل الثروة الجمـال بالفقير والشوهاء فتحيل وجهها عن الفقيرة لمالها ، وتميل وجهها

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم فى صحيحة (٢٥٦٤) والترمذى (١٩٢٧).

عــن الشـــوهاء لجمالها فهذه هى المتكبرة الذى ذكرها الله تعالى فى كتابه ونهاها عن فعل ذلك.

فمن فعلت ذلك فقد خالفت الله تعالى عز وجل وهذه لا تأمن على نفسها أن الله تعالى يفقرها ويردها شوهاء لأنها تكبرت بنعمة الله تعالى ولم تؤدَّ شكرها وقد وقع ذلك كثير. فكم من صاحب مال وجمال لمترع حق نعمة الله تعالى عليها وترفعت بذلك فسلبها الله تعالى مالها وجمالها فأصبحت لا مال ولا جمال بل وربما زادها الله بلية وهى أنها تتسخط وتشكو حالها فيتراكم عليها المصائب الفقر والشكوة وشكايت رب السموات والأرض فيالها من فتنة ما أعظمها ! أصبحت لا دنيا ولا ددين فهذه صارت من الخاسرين.

وأما الأخبار فقد قال ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال خردلة من كبر" فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال ﷺ :" إن الله عز وجل يحب الجمال ، الكبر بطر وغمط الناس" [1].

رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

فقد قال ﷺ : ((**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة** فقال ﷺ : ((**إن الله جميل ويحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**)) [2].

رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١/٦٥) و أبوداود (٤/٩١)

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤/١٢٨) الترمذى (١٩٩٨) ، وابن ماجة (٥٩) ، (٤١٧٣)

ومعنى بطر الحق: دفعه ورده على قائله وهذا كثير من الناس جداً.
فكم من شخص يفعل مالا يجوز فيقال له : لا تفعل هذا فلا يسمع ولا يكترث لذلك بل ربما يقول: عظ نفسك وتأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم بل ربما يقول ما أنت إلا كثير الفضول وهذه كلمة عظيمة فى الشرع ربما تؤدى إلى الكفر والعياذ بالله تعالى لأنه جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى أمر الله ورسوله ﷺ بها فضولاً ومثل هذا لا يصدق إلا من جاهل أو زنديق لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بهما يقوم الدين الذى تعبدنا الله عز وجل به.
وعدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو سبب هلاك الأمم قبلنا وبعث البلايا علينا.
قــال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ﷺ : "إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أن كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثــم قــال ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ** ﴾ { المائدة : ٧٨} ثم قال ﷺ : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه عــلى الحــق اطراءً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليخربن الله عز وجل بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم".(١)

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٩/١) والترمذى (٢١٦٩) وأحمد (٣٨٨/٥).



رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن

معنى تطرنه : أى تعطفونه ، ولتقصرنه أى : لتحبسنه عن الظلم والجور وإذا كان هذا حال من أنكر ثم خالط فكيف حال من لم ينكر أى لعن يلحقه؟

وتنبيه : أن هذا اللعن على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما أعظم هذا الأمر علينا وما أشده.

وقال حذيفة رضى الله عنه قال النبى ﷺ : "**والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله عز وجل أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم.** [1]

رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالرجال بل النساء فى ذلك كالرجال شمول الأدلة لهن.

وها هنا:

شئ يتنبه له وهو أن كثير من الناس يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويحتج بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾
[المائدة : ١٠٥]

وكذا يحتج المنكر عليه وهذا إنما يقوله الجهلة والفسقة.

---

(١)صحيح : أخرجه الترمذى (٢٠٠٣) ، و أبو داود (٤٣٣٦/٤) ، والبيهقى (٩٣/١٠)

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:"**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب منه**".(١)

رواه أبو داود والنسائى والترمذى بأسانيد صحيحة.

ومعنى غمط الناس: احتقارهم والاحتقار إنما ينشأ من العجب ومنه ينشأ الكبر وهو من السيئات العظيمة.

سُئل سليمان بن داود عليهما السلام عن السيئة التى لا تنفع معها الحسنة فقال: الكبر لأن الكبر صفة من صفات الله عز وجل فمن تعاطاه فقد تعرض لمنازعة مولاه فيما هو لـــه وفى ذلك جرأة عظيمة وعافية وخيمة.

قال أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: يقول الله تعالى:

"**العز إزاره ، والكبرياء ردآؤه فمن نازعنى عذبته**".

رواه مسلم وفى الصحيحين من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: "بينما رجل يمشى فى حلةٍ تعجبه نفسه مرجلاً رأسه يختال فى مشيته إذ خسف الله تعالى به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة".(٢)

معنى مرجل : مسرح ، ومعنى يتجلجل: يغوص وينزل

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم"(٣)

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٣٣/٨) والنسائى (١٠٤٣/٨) والترمذى (٢١٦٨).

(٢) صحيح : أخرجه البخارى (٢٨٥/٤) ، ومسلم (١٣٥/٨).

(٣) حسن : أخرجه الترمذى (١٠٢/٥) ، (٢٠٠٠).



رواه الترمذي وقال: حديث حسن

ومعنى يذهب بنفسه : يرتفع ويتكبر .

والكـبر هـو أول معصـية عصى الله تعالى بها قال الله تعالى: ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون إلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾[ص :٧٣-٧٤]

فمن تكبر فقد ساوى إبليس في ذنب أورثه الطرد والبعد والعذاب الى لا آخر له فلا يأمن على نفسه سوء الخاتمة.

وقـد قـال الله تعالى: ﴿ **تِـلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَسَادًا والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين** ﴾ { القصص : ٨٣ }.

وهذا حصر في أن العاقبة يعني الآخرة للمتقيين وما أكثر ادعاء التقوى وما أبعد الناس عنها.

هيهات هيهات إن التقوى لمن أعزّ المطالب ودعواها من غير معرفة ماهيتها لمن أعظم المصائب ، ألم تعلم أنها وصيته الله تعالى في الأولين والآخرين؟

قـال الله تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِـن تَحْـتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [النساء : ١٣] وقد ذكـر الله تعـالى التقوى وثمرتها في غير آيه من كتابه العزيز فقال عن الجـنة: ﴿ **وَسَـارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِـدَّتْ لِلْمُـتَّقِينَ** ﴾[آل عمران:١٣٣] وقال تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾[الدخان :٥١-٥٢]

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾[الحجر:٤٥] وغير ذلك فهل ترى فيها موضع لغير المتقين ولأهل التقوى.

جعل الأمر فى الآخرة ولأهلها وعدّ قبول الأعمال ووسم أهلها بالولاية ورفع عنهم الحزن والخوف يوم الحزن والإخافة وجعل لأهلها المخرج من كل ما ضاق على العباد ولأهلها أضمن الرزق من غير الوجوه التى يحتسبونها إلى غير ذلك ولما كانت التقوى فى المرتبة المنيفة كان جزاؤها هذه المنحة الشريفة.

وللعلماء رضى الله عنهم فى التقوى عبارات فقيل : التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله تعالى ، مخافة عقاب الله تعالى ومن أين يجد القلب نوراً من الله تعالى، وهو منغمر فى بحار الشبهات وغارق فى لجج الشهوات وذلك مرتع الشيطان ومأواه فمن حَّدث نفسه بأنه متق من غير قطع مادة الشهوات والشبهات فهو ضحكة للشيطان.

جـــاء ســـائل سأل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال لابنه : اعطه ديناراً فلما ذهب السائل قال له ابنه : تقبل الله منك يا أبتاه فقال: لو علمتُ الله عـــز وجل قبل منى سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غائب أحب إلىّ مـــن الموت أتدرى ممن يتقبل ؟ إنما يتقبل الله من المتقين ، فإذا كان هـــذا الســـيد الجـــليل يقول ذلك فكيف يحسن بأحد يظن فى نفسه أنه من المـــتقين وهـــل ذلك إلا من الجهل ولو نظرت فى سيرته لقضيت أنه من المتقين والعجب من حسن صنيعه من المعروف وجهاد نفسه فى العبادات.

قال نافع: كان يُحيى الليل كله وما بين الظهر والعصر وإذا قرأ

﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ**

مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] يبكى حتى يغلبه البكاء وكان لا يعجبه شئ من ماله إلا خرج عنه لله تعالى وأتته يوماً عشرون ألف دينار فلم يقم من مجلسه حتى فرقها ودفع له فى نافع عشرة آلاف فقيل : ما تنتظر فى بيعه؟ فقال: فعلاً ما هو خير هو حر لوجه الله تعالى.

وكـــان لا يـــأكل طعاماً إلا وعلى مائدته يتيم ، وسيرته فى ذلك وأشباهه كـــثير حتى قال جابر رضى الله عنه : ما رأينا أحداً إلا قد مالت به الدنيا ومال بها إلا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ومع ذلك لا يعد نفسه من المتقين.

وقيل التقوى : مجانبة ما يبعدك عن الله عز وجل ومن يقدر على ذلك؟

وقيـــل الـــتقوى: لها ظاهر وباطن فالظاهر محافظة الحدود والباطن النية والإخـــلاص وهـــو أمر شديد ومن يقدر على محافظة الحدود كلها وهو مشغول بالمخالفة لا سيما اللسان والنظر والداء العضال البطن وأما النية والإخـــلاص فهـــذا شـــئ لا يقدر عليه إلا الصديقون ، ومن شمَّ رائحة الإخلاص ومثل الإمام أحمد يقول: أما لله فعزيز وهو كما قال ومن يقدر على استوأ السرّ والعلانية ومن يتخلص من الأوصاف الرديئة ، وفى ابن آدم ثلاثون ألف وصف ردئ وقيل: غير ذلك والمقصود تعريف الذنب من ادعى وأحدث نفسه بإنه متق.

قال ابن عباس رضى الله عنهما : المتقى هو الذى يتقى الفواحش.

وقال الترمذى : محمد بن على هو الذى لا خصم له فى الآخرة.

وقـــال السيد الجليل أبو سليمان الدارانى: المتقى هو الذى نزع الله من قلبه حـــب الشـــهوات وهـــذا الذى قاله هو المراد فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الحجرات : ٣] يعنى نزع منها حب الشهوات والله أعلم.

وأعلم أن للتقوى علامات نذكرها لئلا يغتر بها:-

منها الاشتياق إلى مفارقة الدنيا ومصداقة قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام : ٣٢] لأن المتقى يحب لقاء حبيبه ولا يمكن اللقاء إلا بالموت فكلما زاد شوقه إلى حبيبه ضاق من العائق عنه والعائق الحياة وحينئذ فيكره الحياة ومن يكرها اشتياق إلى مفارقة الدنيا.

ومنها أن يهون على قلبه أعراض الدنيا فلا يفرح بحصولها ولا يحزن بذهابها فالمتقى هو الذى لا يدنس ظاهرة بالمعارضات ولا باطنة بالمعاملات.

قال عمر رضى الله عنه: لا أبالى على أى حال أصبحت أو أمسيت وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: ما أبالى إذا رجعت إلى أهلى على أى حالة أراهم بسوء أم بضرّ وما أصبحت على حالة فتمنيت أنى على سواها.

فهذان رضى الله عنهما ومن نما نحوهما حققوا التقوى ونزلوا فى مقام التفويض فأخذوا بذروة التقوى فسبحان من وهبهم ومن علمهم.

قال بعضهم : يستدل على التقوى بثلاث خصال : بحسن التوكل فيما لم ينل وبحسن الرضى فيما ينل وبحسن الصبر على ما قد فات.

رحمنا الله وإياك وحمانا من التلبيس والتزويق إذا تأملت ما ذكرته وهو نقطة من بحر قطعت بأنا ما شممنا للتقوى رائحة فكيف يليق بالشخص أن يصف نفسه بما ليس فيه ويزكيها والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ

أعْـلمُ بِكُـمْ إذ أنشـأكُم مِّنَ الأرْض وإذ أنتُمْ أجِنَّةٌ فِي بُطُون أمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزكُّوا أنفُسَكُمْ هُوَ أعْلمُ بِمَن اتَّقَى» [النجم:٣٢] . وقال الله تعالى : « وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَـا عَرَّضْـتُم بِـهِ مِـنْ خِطْـبَةِ النِّسَـاء أوْ أكْنَنتُمْ فِي أنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أنَّكُمْ سَـتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إلاَّ أن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْـدَةَ الـنِّكَاحِ حَـتَّىَ يَبْـلُغَ الْكِتَابُ أجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » [البقرة : ٢٣٥]

***ومن الأسباب المهلكات لبس ما اعتاد نساء الظلمة:**

من الأمراء والقضاه وأتباعهم وأصحاب الوظائف التي يتعاطاها الظلمة. وكـذا أصـحاب الثروة من التجار وغيرهم كالثياب الرفيعة الشفافة وكذا الانزر الخلابة ونحو ذلك وكالعصائب الثانية والطارات ونحو ذلك.

لاسيما عند المبالغة في اتساع التفضيل الذى هو عين السرف والبطر وهذا شديد التحريم ومتعاطي ذلك له من الجزاء ما أذكره من الدليل قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أنشَأ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » [الأنعام: ١٤١]

فيا ذل من لا يحبه الله تعالى وقال رسول الله ﷺ: **"صنفان من أهل النار لم أرهمـا قـوم معهـم سياط كأذناب البقر ويضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ..."** [1] .
رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٢/١٤٨) ومسلم (٢١٢٨).

ومعنى كاسيات : أى من نعم الله تعالى عاريات: من شكرها وقيل معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها وحليها ونحو ذلك كما تفعله المرأة تظهر معصمها موهمة أنها تصلح إزاراها أو غيره ومقصودها أن يرى الناس معصمها وسوارها وخواتيمها وسلاسلها ونحو ذلك.

وهذه المسكنية قد تظاهرت بمخالفة الله تعالى فى قوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١]

* فكأنى بها: وقد وضعت فى قبرها فأسرعت النار إليها فأوقد معصمها وأوقد حليها زيادة فى العذاب إن كان ثيابها وحليها حلالاً وإلا اشتعلت مع ذلك ثيابها فصارت هذه المسكينة شعلة نار لو نزل منها إلى الدنيا شرارة أو فتح منها منخر لأحرقت الدنيا وما فيها.

اللهم إنا نسألك العافية من عذاب النار.

وقيل: معنى كاسيات عاريات : يعنى تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها وفى معنى ذلك الإزار الشفاف الذى يصف ما تحته من الأقبية والأعصبة وغير ذلك وهؤلاء وأزواجهم لهم من العذاب والخزى ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى.

لاسيما إذا انضم إلى ذلك التفاخر والتعاظم وحُب أن يقال عليها ولها فهؤلاء لهم زيادة عذاب.

لاسيما إن كان زوجها من المتصوفة فإنه يكون سببا لوقوع غيره فى هذه المصائب فإن كان فقيهاً واعظاً فهو أشد عقوبة لأنه به يقتدى العوام فهو

أشد فساداً للخلق من التصوف لأن المتصوف منسوب إلى الجهل.
فـإن كـان قاضياً فهو أشد عقوبة لأن القاضى وظيفته الإنكار على من يتعاطى هذه المناكر ورده إلى الحق الذى نزل به الكتاب من ربّ الأرباب وبلغه سيد الأولين والآخرين ﷺ.
قـال الله تعـالى: ﴿ **المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُـنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ١ ،٢] فكل من يتعظ به فليس بمؤمن.
وقـال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْـنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[النساء:٦٥] أى بظاهرهم وباطنهم فكل من عى إلى الحق ووجد فى نفسـه حـرجاً ضيقاً ولم يسلم لحكم الله تعالى ظاهراً وباطناً فليس بمؤمن فلينتـبه لذلك فإنه مهم مهم مهم فالحذر الحذر من أتباع فقهاء زمانك الذين نصـبوا أنفسهم عبيداً لهؤلاء الظلمة حتى أن القاضى من دأبه أن يفكر فى الأمـر الذى يحبه هذا الظالم الغاشم الذى قد طبق محل ولايته بالظلم من المكس وأخذ ما لا يحل لافى دين المسلمين ولا فى دين اليهود ولا فى دين النصارى الذى دينهم مبناه على النجاسة التى يتوقاه الكلب برفع رجله ولا فى دين المحبوس ولا فى دين الثنوية والوثنية التى عقولهم فى غاية العدم ولا فى مـلة من الملل لأن ذلك من الخمس الكليات التى أتفق جميع الملل على منعها.
وكذا طبق محل ولايته بتولية أخس الناس وأرذلهم من حمار جاهل غشوم فيعمـد إلى موضـع ولايته فيغازى فى الموحدين وغيرهم بأخذ أموالهم

وهــتك نســائهم وذرايــتهم ولو امتنع شريف منه سفك دمه وأخذ ما أخذ وبرطل به من ولاة الأمور.
وكذا طبق محل ولايته بحماية الحشاشين والخمارين والمقامرين والمغانى والقيــنات وكــل فاحشة نهى الله عنها وهو يتظاهر بالاستهزاء بكتاب الله تعــالى وبرســوله ﷺ فقاض هو قد نصب نفسه عبداً لمن هذه صفته من ظالم خشاش خمار قواد وغير ذلك من الفواحش يقتدى به وبمن يتردد إليه مــن المنتنين ولا والله لا يفعل ذلك إلا جاهل قد كبه الجهل على أنفه فى النار أو زنديق حلولى أو ملحداً أو مفتون بزهرة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة كما قاله ﷺ :
رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى. (١)
فــالحذر مــن الاقتداء بهؤلاء الفقهاء الذين هم على دين الإسلام أخز من اليهــود والنصارى ولا يجوز استفتاؤهم ولا الاقتداء بهم فى قول ولا فعل لأنهم على أقل الدرجات فساق والفاسق لا يقبل قوله فى فلس فكيف يقبل من الله تعالى ورسوله ﷺ أحقر عنده من ظالم هذه صفته بدليل عدم تنفيذ قــول الله تعالى تنفيذ قوله وإن كان فيه غضب الله تعالى وغضب رسوله وهذا هو الدليل الواضح ويقتدى به فى دين الله تعالى.
وكنت فى بيت المقدس فى وقت مجاعة فشرب بعض القضاة الخمر على قيــنة فقــال بعــض أتباع الظلمة قد حل لنا الخمر هذا القاضى قد شرب الخمر فكان فعل ذلك سبباً لكفر هذا القائل ولإظهار ما هو كامن فى نفسه الخبيثة.
وقــولى أنهــم عــلى ديــن الإسلام آخر من اليهود والنصارى فى غاية الوضــوح لأن المسلمين يعتقدون عداوة اليهود والنصارى بطلان ما هم عــليه فــلا يقتدى بهم بخلاف فقهاء المسلمين فإنهم إنما يقتدون بهم حتى مــتى وقع للمسلم قضية متديناً كان أو غير متدين أسرع إليه واعتمد فى

---

(١) ضعيف : رواه البيهقى فى الشعب (١٠٥٠١) إسناده ضعيف.

قضـــيته عـــليه فإنا لله وإنا إليه راجعون من هذه المصيبة الجسمية "**ولا حجة فى قول القائل فلمن نسأل وعمن نأخذ العلم إن الله رجالاً يحفظون ديـــنه لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة من طلابهم بصدق وجدهم ومن وجدهم وتبعهم كان من الناجين**" والله أعلم.

ومعنى مائلات : قيل عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن حفظه.

ومعـــنى مميـــلات: أى يعلمهن غيرهن فعلهن المذموم وقيل: مائلات أى يمشـــين متبخترات مميلات لأكتافهن وهذه المشية التى نهى عنها ففاعلة ذلك مخالفة والمخالفة لها عقوبة على قدر دينها.

وقيـــل مـــائلات : يمتشطن بالمشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

ومعـــنى رؤســـهن كأســـنمة البخت: أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصائب ونحوها والله اعلم.

* * *

ومن الأسباب المهلكة وصل الشعر والوشم والوشر:

وهـــو تحديـــد الأسنان قال الله تعالى: ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلأُضِـــلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَـــنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا** ﴾ [النســـاء: ١١٧-١١٩] لعـــنه الله وقال رسول الله ﷺ : ((**لعن الله الواصلة والمستوصـــلة والواشمة والمستوشمة**)). رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

ولعـــن ابـــن مسعود رضى الله عنه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفـــلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل فقالت له امرأة فى ذلك

فقال: مالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ [(١)] وهو في كتاب الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ **مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧] رواه البخاري ومسلم.

فيا ذل وخزي من لعنه الله ورسوله ﷺ والمتفلجة هي التي تبرد أسنانها ليتباعد بعضها من بعض قليلاً وتحسنها وهو الوشر ، والنامصة: هي التي تاخذ من شعر حاجب غيرها وترفقه ليصير حسناً ، والمتنمصة: هي التي تأمر من يفعل بها ذلك.

وعن حُميد بن عبد الرحمن أنه سمع معونة رضي الله عنه بعام حج على المنبر وقد تناول قصة من شعر كانت في يد حرسي فقال: يا أهل المدينة ابن علماؤكم ؟سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل ذلك ويقول: "**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم**". (٢)

رواه البخاري ومسلم.

* فتنبهي لذلك يا مؤمنة واحذري سبب الهلاك ولا تغتري بكثرة من يفعل ذلك ولا تستصغري هذا الذنب فإن غضب الله تعالى مستور في مخالفته وكيف يستصغر هذا الذنب وقد حذر الله عز وجل منه وكذا رسول الله ﷺ وذكر أنه هلاك من قبلنا كما بين لنا أن مجالسة الظلمة والفساق سبب هلاك من قبلنا ونبه على التحذير منه، ومعلوم أن ذلك مما يفعله العلماء والمتصوفة فتنهبي لذلك ولا تغتري بكثرة الهالكين فقد قامت الحجة من الكتاب والسنة والله أعلم.

***

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٣٩) ، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٣٩) ومسلم (٢١٢٥).

ومن الأسباب المهلكات: أن تلزم زمتك شيئاً من دين أو قرض.
أو إتـــلاف شئ كما إذا استعرت حاجة فانكسرت أو تلفت ونحو ذلك فإنه يجب المبادرة إلى براءة الذمة ، إما بالوفاء أو البراءة أو الهبة.
لاسيما إذا كان المستحق يستحى أن يطالب أو كان قد ورث الحق صغيراً أو صغيرة فمن أمرت ذلك فهى ظالمة عاصية معصية عظيمة.
قال رسول الله ﷺ : «**مطل الغنى ظلم**» (١)
رواه البخارى ومسلم.
والغـــنى هـــو الذى يقدر على الوفاء وكثير ممن يقدر على الوفاء ويؤخر طمعاً فى أنه يوفى من موضع آخر من غزل أو غيره ومن فعل ذلك فهو عاصى، فإن كان قد أخذ ذلك على سبيل المخادعة والمجاياة فهو آثم إنما أخذ بسبب ذلك فإن كان قد أخذ ذلك خفية وجب إعلام صاحب الحق، فإن أخذه غصباً فهو أشد من المعصية لأنه تجاهر بمخالفة الله عز وجل وذلك عظيم.
قال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لامرء أن يأخذ عص أخيه بغير طيب نفس وذلك لشدة ما حرم الله عز وجل مال المسلم علىٰ المسلم**» (٢).
رواه البيهقى.
وفى القرآن العظيم والصحيحين النهى عن ذلك فإن أنكرت ما أدعى عليها وقعـــت فى أتـــم الكـــذب زيادة على ذلك، فإن حلفت وقعت فى معصية الكبائر.
قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على مال امرءٍ مسلم بغير حقه لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان**» (٣). نسأل الله تعالى العافية من غضبه.

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٢٢٨٧) ، ومسلم (١٥٦٤).
(٢) ضعيف : أخرجه البيهقى فى الكبرى (٦/١٠٠) ، (٣٥٨/٩).
(٣) صحيح : أخرجه البخارى (١٠٥/٣) ، ومسلم (٩٦/٣).

رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

قال رسول الله ﷺ : « **من اقتطع حق امرء بيمينه فقد أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل: وإن كان شئ يسيراً يا رسول الله ؟ فقال: وإن كان قضيباً من أراك** » [١] رواه مسلم.

* فالحذر الحذر من ذلك فكأنى بك وقد ندمت حين لا ينفعك الندم.

ومن الظلم ان تدخل المرأة على امرأة أخرى بغير إذن زوجها أو سيدها وتدخل فى هواها وتحسن لها أموراً يكرهها الزوج فهذه عليها آثام منها دخولها منزل الزوج بغير رضاه فهى عاصية بالقعود وبالأكل وبالشرب وبالخديعة وبالإفساد فهذه كلها معاص كبائر بمنزلة شرب الخمر.

وقد يقول الزوج للداخلة كلاماً يفهم أنه لا يكره دخولها إلا أنه يرى أن دخولها وسكوته أهون عليه بما يترتب على التصريح بمنعها إلا أنه يسكت مكابرة.

فهذه أيضاً من المعاصى ، فالمؤمنة هى التى صدقت رسول الله ﷺ فيما جاء عن ربنا عز وجل تتفقد ذلك وإلا فهى موقعة نفسها فى حفرة بل حفرة من نار جهنم عافانا الله عز وجل منها.

فعليك أيتها المسكينة بالمبادرة إلى فكاك نفسك من أمر مهول فى يوم لا تدارك فيه ولا قدرة إلا عذاب وسحب إلى النار.

قال رسول الله ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه عليه** » رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة.

قال رسول الله ﷺ : « **أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس بيننا من لا درهم له ولا متاع فقال صلى الله ﷺ : أن المفلس من أمتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك**

---

(١) صحيح : رواه البخارى (٣/٩٩) ، ومسلم (٣/٩٦).

دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» (١).

رواه مسلم من حديث أبى هريرة.

وكان على ثقل النبى ﷺ رجل يقال له: كركرة فمات فقال رسول الله ﷺ: «**هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها»**. (٢).

رواه البخارى من حديث عمرو بن العاصى.

ومعنى غلها: سرقها وإذا كان هذا فى عباءة وفى رواية شملة أخذها من المغنم وله فيه حق فكيف حال من يأخذ شيئاً لاحق له كما تفعله الظلمة من أخذ المقاطع واللحف والفرس والبسط والمقاعد وغيرها.

فكأنى بهذه المسكنية زوجة هذا الظالم وقد ألهبت عليها هذه الأمور فى نار جهنم.

وقد كثر فى السنة النساء أن المرأة ما عليها الذى يفعله زوجها من الظلم والبلص فى ذمته وهذا كلام باطل خبيث لا يصدر إلا من قلب خبيث فيجب التوبة ذلك ومن عرفت أن ذلك حرام وقالت ذلك أو سمعته ولم تنكره فهى عاصية، فإن اعتقدت جواز ذلك بعد معرفتها بأنه حرام فهى كافرة فتستتاب فإن نابت وإلا ضربت عنقها بسيف الشرع المحمدى.

واستوجبت بذلك الخلود فى النار لأنها حللت ما حرم الله تعالى وأخذته واستعملته بغير حقه.

فكأنى بها وقد جاءت يوم القيامة وهى تحمل هذه الأمور قال الله تعالى:

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٣/٩٢).

(٢) صحيح : رواه البخارى (٢/٩٨) (٣٨٨٤).

﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]

وقال رسول الله ﷺ : « **والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحداً منكم لقى الله تعالى يحمل بعيراً له رغاء أو بقره لها خواراً أو شاة ببعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ثم قال: اللهم هل بلغت** » (١).

رواه البخارى ومسلم من حديث ابن حميد الساعدى واسمه عبد الرحمن وهذا بعض حديث ابن اللتية.

ومن استعملت شيئاً مما جاء به زوجها فقد أخذته بغير حقه وسواء كان زوجها أميراً أو قاضياً أو متصوفاً أو غير ذلك، ويجب عليها أن تسأل عالماً عاملاً قد عرف منه أنه لا يقول إلا الحق ولا يتساهل.

أما من هو من هذه الفقهاء فلا يسأل ولا يستغنى كما قد قدمنا وكذا الا يسأل هؤلاء الذين اتخذوا قراءة البخارى ومسلم وغيرهما دكاكين فإنهم منهم بل أنزل درجة لأنهم عوام بالنسبة إلى المفتيين.

اللهم إلا أن يكون ممن عرف بالعلم والتقوى، وعلامة التقوى أنه لو قال له واحد من الظلمة أو واحدة من نسائهم: اقرأ لى البخارى فإنه لا يفعل ذلك تديناً فمثل هذا يقبل قوله والله يعلم المفسد من المصلح.

ومما يتصل بذلك فى تغليظ العقوبة من عدم إخراج الكفارات بالأيمان وكذا عدم إخراج الزكاة.

قال رسول الله ﷺ : « **ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله عز وجل بين العباد فيرى سبيله إما**

---

(١) صحيح : رواه البخارى (٢/٩٩) ومسلم (١/٨٩)

إلى الجنة وإما إلى النار» [١].

وفي رواية «**ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع فاتحاً فاه، فإذا أتاه فرّ منها فيناديه: خذ كنزك الذي خبأته فأنا غني عنه، فإذا رأى أنه لا بدله منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحـل. قيل: يا رسول الله والإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يودي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقـرأ وفـر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً وأخذ يطأه بأخفافها وتقضمه بأفواههـا كمـا مـر عليه أولاها ردّ عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم قال: ولا صاحب بقر ولا غـنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد مـنها شـيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطـاوه بأطلافهـا كـلما مر عليه أولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»** [٢].

رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وذكر مسلم بعد هذا قول أبي ذر رضي الله عنه «**بشر الكانزين برضف يحمى عليهم في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل»** [٣].

وقـد ذهـب أبو ذر رضي الله عنه إلى أن الكنز كل ما فضل عن حاجة الإنسان فيا ذل من جاء ذهبه أو فضته صفائح من نار تكوى على جبهته

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٨٩/١).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٩٨٧).

(٣) صحيح : رواه البخاري (١٤٨/٣) ، (٣٥/٤ ، ٢٥٢)، (٢١٧/٦ ، ١٣٤/٩)،ومسلم (٩٩٢)

وجنـــبه وظهره وإذا كان هذا عذاب من منع زكاة ماله الذى هى من تعبه وتجارته فكيف حال من أخذ المال بغير حقه.
وقوـــله ﷺ : شـــجاع أقرع : الشجاع الجنيه الذكر والأقرع : الذى تمعط شعره من كثره سمه فيصير ما له شجاعاً بهذه الصفة ليعذب به.
وقوـــله ﷺ : فيســـلك يده فى فيه أى يدخلها فى فم الشجاع فيقضمها كما تقضم الدابة الشعير. نسأل الله عز وجل العافية.
وأمـــا الرضف: فهى الحجارة المحماة ؟ وقوله: يحمى عليه أى توقد فى نـــار جهـــنم، وسميت جهنم قيل لبعد قعرها وقيل لغلظ أمرها فى العذاب وقوله نغض: هو بضم النون وسكون الغين المنقوطة وبعدها ضاد منقوطة هـــو العظـــم الـــرقيق الـــذى على طرف الكتف وقيل: هو أعلى الكتف فالرضـــف يتحرك من نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه ، نسأله الله العافيه من شح يؤدى إلى هذه العقوبات.
وقـــد كان بعض الناس يخرج زكاته ثلاث مرات فأكثر ويقول: يحتمل أن الذى أخذها غير مستحق ومن يقدر على هذه العقوبات.
وكـــان بعض مشايخ هذا يقول : لو أخرجت من الألف مائتين كان أحسن وقدر فى نفسك أنك إنما ملكت ثمان مائة.
وأما السيدات الجليلات ذوات المقدار اللواتى عرفهن الله تعالى حقارة هذه المزبـــلة وكثرة ما أعد الله تعالى لهن فإنهن يخرجن جميع مالهن ويمسين ويصـــبحن متنعمات بأنهن على خزائن الله عز وجل الذى لا يعلم قدرها وعظمها إلا الله فهؤلاء هن أغنى الناس.
فمن أحب المقام الأسنى فليفعل فعلهن ويكون ذلك على وفق العلم.
فكـــم من امرأة سمعت حالهن فتشبهت بهن ثم جاء الشيطان فوعدها الفقر فـــندمت وعادت أنجس ما كانت لأنها كانت متعففة مؤثرة فأصبحن سائلة شـــرهة ، وسبب ذلك جهلها فلا داء أدوأ من الجهل وهو أجنولة الشيطان والله المستعان وعليه التكلان والله أعلم.
ومن الأسباب المهلكة فى الدنيا والآخرة:

وقد توعد الله عز وجل عليه عقوبة عظيمة.
أن يمـــوت رجـــل ويترك أولاداً رزقا سواء كان نقداً أو عقاراً أوهما أو غيـــرهما فـــتحدث المرأة نفسها بالزواج أو غيره فيساعدها الشيطان على ذلـــك ويحســـن لها ذلك ويرغبها فيه وسعى لها أموراً بحسب حالها فإن كانت جالسة قال لها: قد خلوت بنفسك وقد أعطاك الله تعالى مالاً فعيشى طيب وتلذذى وغداً الموت ولا تخلى فى قلبك شيئاً، ولو أنكى تستاهلى ما رزقـــك الله تعـــالى ومـــا فى الأولاد خير، إش حصل لفلانة وفلانة من أولادها ؟ ويحسن لها مثل هذا أو شباهه فلا يزال بها حتى يكبها فى النار.
وإن كانت امرأة عاقلة وتخشى العار والفضيحة قال لها: تزوجى فالزواج سنة فإن كانت غير متعبدة ومن شأنها الترفه سعت فى تحصيل زوج من جنســـها وتوســـعت هي وإياه بمال اليتامى حتى يغنى فإذا فنى فارقها هذا الخبيث فأصبحت لا دنيا ولا دين.
وإن كانت متعبدة قال لها الشيطان: أنت امرأة متعبدة ومشغولة بالله فإن لم تتزوجى احتجت إلى القيام بأمر الأولاد والخروج فيفنى المال على الطول وتفوتـــك العـــبادة، وتساعدها على ذلك من هو من جنسها من المتعبدات الـــلواتى هـــن أفســـد مـــن الشيطان وأكثر غوراً فى طريق التخيل إلى الأغـــراض الدنيويـــة منه، لاسيما التى طال سماعها للأحاديث والمواعظ وهـــذه هى الداء العضال لأنها تشير عليها بأمور هى فى معرض الشفقة عـــليها وعلى أولادها ومعرض الدين وقصدها بذلك التودد إلى خاطر أم الأولاد لأن مـــن أطـــاع شخص فيما يهواه أحبه وركن إليه ولو كان فى المعاصى الظاهرة فكيف فى أمر الطاعات والقربات التى ترى انها تقرب إلى الله عـــز وجـــل ثم تزين لها الزيادة فى الجهاز فتؤمنها على الشراء وربما تقول: لو حضرت لكان أحسن لأن العين لها حق فيما تشتهى النفس وتليق بها ولا تزال عليها حتى تخرج إلى الأسواق ولو فى العدة ثم تحسن لهـــا مـــا يقتضى إصلاح بدنها من المآكل الشهية والملابس السنية حتى تستغرق وقتها فى الفكر فيما تعود على بدنها من الملبس والمأكل فتخرج

من طور العبادة إلى طور زهرة الدنيا التى حذر الله عز وجل منها وربما لا يكون لها من الإرث حق لأنها ربما كانت تأخذ من خلف زوجها أكثر مـــن حقها فيبقى المال كلها للأولاد فهذه ومن قبلها يستعدون لما أعده الله عز وجل لهن من العذاب وكذا الزوج الخبيث الطوية.

قـــال الله تعـــالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء : ١٠]

وقـــال رسول الله ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هى ؟ قـــال الشـــرك بالله والسحر وقتل النفـــس التى حرم الله إلا بالحق وأكـــل الـــربا وأكـــــل مـــــال اليتيـــم والتـــولـــى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات»[١].

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

والموبقات : المهلكات وأى هلاك أعظم من أن يمتلئ جوف الشخص ناراً مـــن الأكل ، فإذا انضم إليه اللبس إنغمر البدن بالنار ظاهراً أو باطناً فإن كان الأكل والشرب فى آنية ذهب أو فضة زاد العذاب.

قـــال رسول الله ﷺ : «الذى يشرب فى آنية الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم».

رواه البخارى ومسلم من حديث أم سلمة رضى الله عنها وفى رواية لمسلم «أن الـــذى يـــأكل أو يشـــرب فى آنية الفضة والذهب وفى رواية لمسلم: «مـــن شـــرب فى إنـــاء مـــن ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نار من جهنم» [٢].

ومعنى يُجرجر : يُصوت.

فيا ذل من نار جهنم تصوت فى بطنها، إن شرارة لو نزلت من جهنم على

---

(١) صحيح : رواه البخارى (١٨٤/٧) ومسلم (٨٩/٣)

(٢) صحيح : رواه البخارى (٨٩/١) ، ومسلم (٨٥/٣).



جبل لذاب من شدة حرها.

* فـــالحذر الحذر من ذلك فقد واالله قد نزل الكتاب وبلغه سيدنا رسول االله ﷺ كمـــا أمـــر وتركنا على البيضاء النقية ليلها كنهارها لا يزيغ فيها إلا هالك.

وقال تعالى: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣].

وقد أجمع السلف على أن المعاصي بريد الكفر ، وقد صرح بذلك رسول االله ﷺ ولا شك أن المعاصي أكثر من أن تحصر وقد عدها بعضهم وقال: أنها ثلاثون ألفًا منهم من قال: هي خمسون ألفاً وهذا كله تحكم إلا أن يدل عـــليه دليل أو نجير بذلك ولي االله تعالى قد أطلعه على ذلك فنحن نؤمن بقوـــله لأنه من أصحاب أسرار االله عز وجل أعاد االله تعالى علينا وعلى أحبائنا من أنفاسهم الطاهرة.

وكـــان إذا رأى هـــؤلاء الشياطين الرقاصة على مزمار الشيطان وتواجد واحـــد منهم ودخل الشيطان في دبره يراه فكان إذا أوى إلى دبس وغلبه الـــنوم ولحقه برد جاء سبع وألصق ظهره إلى ظهره وأدفأه وكان يقول: الفقيـــر إن لم يكن الدنيا فى نظره هكذا ويفتح كفه وإلا فلا ومن أنكر هذا ونحـــوه فهو ممقوت وكيف ينكر ذلك وقد قال عمر رضى االله عنه على المنبر فى المدينة: يا سارية الجبل وسارية بنها وقد وغير ذلك وقد خرجنا عما نحن بصدده من ذكر الأسباب المهلكات واالله أعلم.

***

ومن الأسباب المهلكات الرواح إلى المنجمين وأصحاب الرمل والضاربين والضاربات بالحصى والشعير . ونحو ذلك.

قـــال رسول االله ﷺ : «**من أتى عرافاً فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له**

صلاة أربعين يوماً)) (١).

رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ.

وقالت عائشة رضى الله عنها سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال: ليسوا بشئ فقالوا: يا رسول الله إنهم محدثون أحياناً بشئ يكون حقاً فقال ﷺ : ((**تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة))** (٢).

رواه البخارى ومسلم.

فهذا رسول الله ﷺ يقول عنهم أنهم ليسوا بشئ وأنت تجعلين لهم شأنا وتعتقدين صحة ما يقولون وفى ذلك جرأة عظيمة وأفتيات على أمين أهل الأرض.

وما مثلك يا مسكينة إلا مثل هؤلاء الفقهاء يظهرون عظمة رسول الله ﷺ فإذا قال لهم ظالم شيئاً أطاعوه وان كان فيه غضب رسول الله ﷺ.

وقوله ﷺ : ((فيقرها فى أذن وليه)) أى يلقها وإذا كان وليه الجنى الكافر فهو مثله بل كثير من المنجمين يهود وهم أشد أعداء لرسول الله ﷺ فمن أضل ممن يصدق يهودياً حذر منه رسول الله ﷺ ويمشى إليه ويعطيه على ذلك أجره.

قال أبو مسعود البدرى رضى الله عنه: ((نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن)) (٣).

رواه البخارى ومسلم.

* فكأنى بك وقد شم منكراً ونكير رجليك فوجداهما قد سعيا إلى منجم فنفخا فيهما نفخة فالتهبا مع جسمك ناراً.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٥٠/١).

(٢) صحيح : رواه البخارى (٥٠/٤) ، ومسلم (٢١٠/٣).

(٣) صحيح : رواه البخارى (٨٩/٤) ، ومسلم (١٥٦/٣)

* وكأني بك وقد شما سمعك التي أصغيت به إليه فوجدا فيه صفة الإصغاء فنفخا فيه فألتهب مع جسمك ناراً وكذا أطراف أصابعك ثم جاءت إلية وصارت مرصعة فى أجنابك ناراً.
فياذل وخيبة من أطاع نفسه والشيطان وترك طاعة رسول الرحمن فالحذر الحذر من ذلك فإنه من أسباب المهالك.
قال رسول الله ﷺ : « **إن الله سبحانه وتعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى المرء ما حرم الله عز وجل عليه** » [1]. والله أعلم.
وهذا كله إذا لم تحصل معه لا نظرة إليها ولا نظرها إليه ولا خلوة ولا ريحة طيبة ولا حديث نفس بسوء ولا ظهور ريبة ولا غير ذلك من الأمور المحركة لما نهى الله عنه.
قال الله تعالى: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].
وقال الله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩].
و قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦].

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١٧٣٥٢).

و قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [البقرة : ٢٣٥].

وغير ذلك من الآيات.

وقال رسول الله ﷺ : «**العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق الفرج أو يكذبه**» [١].

رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وقال جرير رضى الله عنه سألت رسوله الله ﷺ عن نظرة الفجأة ؟ فقال : «اصرف بصرك» [٢].

رواه مسلم.

ولا فرق بين كون المنظور إليه بصيراً أو أعمى، قالت أم سلمة رضى الله عنها كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة رضى الله عنها فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام أفعمياوتان وأنتما ألستما تبصرانه» [٣].

رواه أبو داود وقال : حديث حسن صحيح.

---

(١) صحيح : رواه البخارى (١٠٠/٤) ، ومسلم (٥١/٢).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٦٠/٤).

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (١٠٥/٣) ، وأحمد (٢٩٦/٦).

فهذه آيات وأخباراً مانعة من ذلك كله.
ومن هنا ينبغى للمرأة الطالبة للآخرة أن لا تخرج من بيتها لا للصلاة فى المساجد ولا غيرها، لأنها على تقدير أن تلبس أوحش الثياب لا تقدر على مــنع غيرها من النظر ولأنها جلست وجدها برزت للرجال، وإن جلست مــع النســاء فلابد وأن تجد فيهن ما نهى عنه فإن سكتت من غير إنكار أثمــت وإن أنكرت ربما استطيل عليها فتتادى بما يحدث منهن من سوء المخاطــبة والاســتهزاء بها وبما تورده من الآيات والأخبار، وكل ذلك مخــدور فتحصــيل فضيلة مع وقوع فى آثام جهل مع أن خروج المرأة لأجل العبادة فقط فى غاية البعد وإنما يقول ذلك من السأمة فى انحصارها فى بيــتها ولأمور أخرها كلها فخبثة تحس المرأة من نفسها بذلك وتظهر خلافه.
وقــد عــلمت عائشة رضى الله عنها ذلك من النساء اللاتى هن فى خير القرون فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل ووافقها على ذلك القسم ويحيى الأنصارى ومالك وغيرهم.
مــع إنهن كم لايبدين زينتهن ويغضضن من أبصارهن وكذا الرجال وأما زمانــنا هــذا فخروجهن لأجل إظهار زينتهن ولا يغضضن من أبصارهن وكــذا الرجال بل الأمر بعكس ذلك ومفاسد خروجهن محقق لا يرتاب فيه إلا نحــبى أو مكــن فى قلــبه دسيســة فإن حصل ذلك خلوة زادت الآثام فتضــاعفت العقوبــات قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّــبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا**

يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٣].

وقال رسول الله ﷺ : ((**إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: الحمو الموت**)) (١).

رواه البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

والحمو: قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وعمه، وسماه رسول الله ﷺ بذلك لما كشف الله تعالى مما يقع منه وقد شاهدنا ذلك وهو من المعجزات الباهرة.

وقال رسول الله ﷺ : ((**لا يخلون أحدكم بامرأة أجنبية إلا مع ذي محرم**)) (٢).

رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا كله إذا علم الزوج والسيد ولم يتأذ بذلك ، فإن لم يعلم زاد الإثم وإن علم ولم يرض زاد الإثم مع إنه يحرم عليه الإذن والرضا لأنه إعانة على معصية ولأنه في الغالب يورث الشحناء والتقاطع وذلك حرام.

قال الله تعالى: **﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** [النساء: ١١٢] ولا أذى أعظم من خروج المرأة إلى المنجمين وإعطاهم شيئاً على ذلك وكذا الخروج إلى مواطن اجتماع الناس التي هي مواطن الزور والفواحش التي هي سبب عذاب الله تعالى ومقتهم ومثل ذلك يؤدي إلى التباغض والتقاطع والتدابر، وقد قال رسول الله ﷺ: ((**لا تباغضوا**

---

(١) رواه البخاري (١٧٢/٢) ، ومسلم (١٨٨/٣).

(٢) رواه البخاري (١٢٣/٣) ومسلم (١٥٤/٣).



ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (١).

رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه»**.

ومفهوم هذا الحديث أن من لم يسلم المسلمون من لسانه ويده أنه ليس بمسلم، ويا لها من مصيبة قد عرف فيها الظلمة وأتباعهم من الرجال والنساء، ولعمري على هذا فالناجون قليل.

لاسيما آفات اللسان فإنها أكثر من القطر وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ومن الأسباب المهلكات : النياحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعور وحلقها والدعاء بالويل والثبور وعظائم الأمور، وكل ذلك من أمور الجاهلية وهو حرام وفاعله ذلك لها من العقوبة ولميتها ما أذكره قال رسول الله ﷺ: **«إن الميت يعذب في قبره بما ينح عليه»**.

وفي رواية «بما ينح عليه» (٢).

رواه البخاري ومسلم من حديث عمر رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ : «ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه وآسنداه أو نحو ذلك، إلا وكل به ملكان يهلزمانه أهكذا أنت» (٣).

رواه الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال: حديث حسن واللهزمة: الدفع بجمع اليد في الصدر يعني لكمة بيده مطبوقة في صدر الميت.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣/٢٣١).

(٢) صحيح : رواه البخاري (١/٧٤) ، ومسلم (١/٨٦٠).

(٣) صحيح : حسن أخرجه الترمذي (١٦٦١) ، وأحمد (٣/٢٦٦).

وقـــال رســـول الله ﷺ : «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» (١).
رواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه.
وقـــالت امـــرأة من المبايعات لرسول الله ﷺ كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعـــروف الذى أخذ علينا أن نعصيه فيه أن لا نخمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً وأن لا ننثر شعراً(٢).
رواه أبو داود بإسناد حسن.
وكـــانت هذه الأمور من أحوال الجاهلية والإسلام هدم أمر الجاهلية فمن فعـــل شيئاً من ذلك فقد أعاد أمر الجاهلية، ويا لها من معصية ما أقبحها وأكـــثر وزرها وقال رسول الله ﷺ : «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**».
رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.
وقـــال أبـــو بردة وجع أبو موسى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برقة فلم يستطع أن يرد عليها، فلما أفاق قال: أنا برئ ممـــن بـــرئ منه رسول الله ﷺ ، «**إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة**» (٣).
رواه البخارى ومسلم.
والصـــالقة : هى الـــتى ترفع صوتها بالنياحة والندب فتقول: يا ولداه ويا حسنه ويا شبابه ويا شعرها ويا حسنها وقدها ونحو ذلك.
والحالقـــة: هى التى تحلق شعرها من المصيبة ، والشاقة : هى التى تشق ثوبها أوجيبها أو درعها ونحو ذلك.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٨٧/١)

(٢) حسن : أخرجه أحمد (٧٣١٤) ، وأبو داود (١٣٢/٤).

(٣) صحيح : رواه البخارى (٧٥/١) ، ومسلم (٨٨/١).



وســـبب عقوبة هذه المسكينة بما تقدم وتبرئ رسول الله ﷺ منها أن هذه الأمور تفيد معنى التظلم فكأنها تقول بلسان الحال: ظلمنى بموت ولدى أو زوجى أو أخى أو أخـــتى والـــرب سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد فمن نسبه إلى الظلم فهو كافر، وهو أسوء حالاً من اليهود والنصارى فالجاهلة تفعـــل بنفســـها أعظم المصائب ومع ذلك لا يحصل لها عود ميتها فهذه تتضـــاعفت مصـــيبتها ويتضاعف عذابها ومن شاركها فى ذلك كان عليه وزر مشاركتها، وكذا من صنع طعاماً فأكل منه النائحات يأثم لأنه إعانة على المعصية.

وعلاج هذه المسكينة أن تذكر ما أمامها من سكرات الموت وهول المطلع وظـــلمة القبر وديدانه ومنكر ونكير وفتح طاقة من جهنم وتصور أعمالها فى صورة قبيحة النظر إليها عذاب وتذكر الصراط ودقته والعرض على الله وخفة الميزان والفرار من الأخ والأم والصاحبة والابن وخفة الميزان ومهبطها.

بعد ذلك إلى النار فإن لم تتعظ بذلك فتضع يدها فى النار فإنها والله تنسى كل ما يصدع قلبها فراق. والله أعلم.

* تنـــبيه: مـــا تقدم من عقوبة الميت محله إذا أوصى بأن يناح عليه وأن تعدد شمائله كما يفعله الأعراب والجهلة وكانت الجاهلية تتعاطاه، أما إذا لـــم يوصى بذلك وكان كارهاً له فلا عقوبة عليه والعقوبة والنكال خاص بالنائحة والمعدودة . والله أعلم.

***

ومن الأسباب المهلكات سوء العشرة مع الزوج.

لأن الزوج له حق واجب بالشرع وهو على الفور ما لم يكن عذر شرعى حتى لو أرادت أن تحج حجة الإسلام فالزوج منعها لأن حقه على الفور.

قـــال رسول الله ﷺ : «**إذا دعى الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت**

على التنور» [١].

رواه النسائي من حديث طلق بن على وكذا الترمذى وقال: حديث حسن

قال رسول الله ﷺ : «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه**» [٢].

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه واللفظ للبخارى.

وقال رسول الله ﷺ : «**إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [٣].

رواه البخارى ومسلم وفى رواية لها: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» وفى رواية : «**والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**».

وقال رسول الله ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» [٤].

رواه الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وقال: حديث حسن صحيح، وهذا الحديث يدل على شدة حق الرجل وتأكد الاعتناء به فيا ويح بل يا ويل من ربها ساخطاً والملائكة عليها السلام تلعنهم إلى الصباح والحور يدعون عليها.

قال رسول الله ﷺ : « **لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله عز وجل فإنما هو عندك دخيل يُوشك أن**

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٣٥).

(٢) رواه البخارى (٩٤/١٠) ، ومسلم (١، ١٠٢)

(٣) رواه البخارى (١٨٦/٢) ، ومسلم (١٩٦/٢).

(٤) أخرجه الترمذى (١٢/٣).



يفارقك إلينا» (١).

رواه الترمذي وقال : حديث حسن.

قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يقبل الله عز وجل لهم صلاة ولا يصعد لهم حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يديه في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصمد»** (٢).

رواه ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه.

والأحاديث في ذلك كثيرة وحديث واحد يكفي نساء أهل الدنيا في الاتعاظ والتي غلب عليها الشقاوة لا ترجع عن عينها ولو قرئ عليها مجلدات فتتأهب للعذاب الشديد ثم هذا كله إذا كان الزوج قائماً بالحقوق عليها لها على الوضع الشرعي لا على عادة أهل الثروة من الظلمة والقضاة السوء الذين يتوسعون في المأكل والمشارب والمساكن ويتابعون في ذلك ويتخوضون في المال الله عز وجل وفي أموال من جعله الله تعالى لهم في كتابه العزيز بغير حق.

وكذا فيما أحدثوه من أخذ أموال الناس بالباطل إما على وجه القهر أو على وجه الخديعة كما يفعل المتصوفون فإنهم يظهرون الديانة والسلوك إلى الله عز وجل لينالوا به عرض الدنيا بدليل أنهم لودعاهم نقيب أودال أومكاس أو رئيس أو عريف أو مربى وظالم قد عرف جوره وظلمه هرعوا إليه فهؤلاء الفقراء والقضاة وأمراءهم في الدرك الأسفل من النار وقد صرح بذلك العلماء من نحو أربع مائة سنة.

وأما متصوفة اليوم وقضائهم فإنهم لم يؤمنون بيوم الحساب إن قالوا خلاف ذلك كذبوا فإن أفعالهم عكس أفعال من يؤمن بيوم الحساب

(١) ضعيف : أخرجه الترمذي (١٢٢/٣).

(٢) حسن : أخرجه أحمد (٢٠١٥٣٠).

ولاينكر ذلك إلا الجاهل وفاسد العقيدة
هــذا الحسن البصرى يقول رضى الله عنه لقد رأيت سبعين بدويا لباسهم الصـــوف لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء مـــن خـــلاق أي نصيب ولو رأوا أشراركم لقالوا : لا يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.
ومعـــلوم أن شرار هذا الزمان أحسن حالاً من خيار هؤلاء ولا ينازع فى ذلك إلا معاند.
ودخل المسجد يوم الجمعة فلما جلس دمعت عيناه فقيل له : يا أبا سعيد ما يبكيك ؟ فقال : مالى لا أبكى أرى قولاً ولا أرى فعلاً أرى مالاً ولا أرى عقولاً وخلو ثم خرجوا وأحلوا ثم حرموا إنما دين أحدهم لعقه على لسانة لرسالته هل يؤمن بيوم الحساب لقال : نعم كذب ومالك يوم الدين وما هذه أخلاق المؤمنين وذكر أخلاق المؤمنين الذين يؤمنون بيوم الحساب.
فـــإذا كـــان الحسن مع جلالته وعظم قدره فى العلم والدين ربيب رسول الله ﷺ يقســـم بمالك يوم الدين أن فقهاء زمانه وعلماؤهم لا يؤمنون بيوم الحســـاب وهـــم فى خير القرون فكيف هؤلاء الأخباث الذين هم فى شر القرون قد نصبوا أنفسهم عبيداً لأرذل الناس من الظلمة والمكسة وإن كان فيـــه غضب الله عز وجل الظلمة أو أتباعهم كالنقباء والمشدين والوكلاء ونحوهمـــا عـــلى الضياع ، وكذا نقباء المحتسب ورسل القاضي الذين لا تصـــلح للقضاء إما لعدم علمه أو فسقه وامتنعت من قربائة وهجرته دنيا بصـــدق فـــليس عليها فى ذلك لأنها تخلص نفسها من أن تكون وقيدًا فى جهنم.
وكذا امرأة المدرس الذى ليس هو أهلا للوظيفة وكذا امرأة المتصوفة وأن مـــا يأكله حرام لا خلاف فى ذلك بين المسلمين لأنه إنما يعطى ذلك بناء عـــلى انـــه صوفى والصوفى من لبس الصوف ورفض الدنيا خلف القفا وسلك سبيل المصطفى ﷺ وهذا عزيز جداً والسالك لا يظهر سلوكه لأنه سر من أسرار الله تعالى وفى إظهاره إفشاء سر الله تعالى وقد قالوا : أنه

كفر.
قال العلماء : وما يأخذه من ليس بصفة القوم حرام قطعاً كمن وقف على حسني أو علوى أو أوصى له بشئ وهو بخلاف ذلك فإنه لا يحل له أخذه قطعاً لعدم وجوده صفة الاستحقاق.

* فـالحذر الحـذر يانسـاء المؤمنات من ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦] فمن وجب عليها حق فلتؤده بطيب نفس وطلاقة وجه وحسن معاشرة، ومن كانت تحت واحد من هؤلاء الأخبات فلتفر منه فرارها من الأسد ولاتغتر بغيرها، فكأنى بها وقد نـزل بهـا أمـر الله عـز وجل فذهبت الشهوات وبقى التبعات المهلكات وتعاظمت الحسرات وتعذر الخلاص حين لات مناص.

وهـذه نصيحة أخ محب للناس ما يحب لنفسه والله ثم والله إن أنعم الناس لـو اشـتد صداع رأسه لذهل عن جميع ملاذ الدنيا فكيف بمن يغمس فى النار

قال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُـونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيم**ا﴾ [النساء : ٢٩] والصلى غمس الشخص فى النار لا التلويح.

وقـالت خولة امرأة حمزة رضى الله عنهما : سمعت رسول ﷺ يقول : «**أن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» رواه البخارى .

فهـذا كـتاب من سنة نبينا ﷺ ناطقان بما حذرت منه وفهمت عليه وهما الحجة والبرهان على الإنسان لا فعل فقهاء السوء وصوفية المزبلة إخوان الشيطان والله عز وجل المستعان وعليه التكلان .

قال ﷺ " **إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص قدميه حجرتان يغلى منهما دماغه ما يرى أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا** "
رواه البخارى مسلم من حديث النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه
وقال ﷺ " **يؤتى بأنعم أهل الدنيا فى أهل النار يوم القيامة فيصبح فى النار ضبعة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ، هل مر بك نعيم قط؟. فيقول: لا والله ، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ، قل مر بك شدة . فيقول لا والله ما مر بى بؤس و لا رأيت بؤسا قط** ".
رواه مسلم من حديث أنس رضى الله تعالى عنه.
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان لأبى بكر الصديق غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : أتدرى ما هذا ؟ فقال أبو بكر وما هو ؟ فقال : كنت قد تكهنت لإنسان فى الجاهلية وما أحسن الكهانة ! إلا أنى خدعته فلقينى فأعطانى لذلك هذا الذى أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فى فيه فقاء كل شيء فى بطنه".
رواه البخارى وفى رواية " فجعل يتقيأ فلا تخرج اللقمة فقيل له : أكل هذا لأجل لقمة ! فقال : لو لم تخرج بنفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول : "جسد ينبت على الحرام النار أولى به " خشيت أن ينبت شيء فى جسدى من هذه اللقمة .
وان كان هذا من اللقمة فكيف حال من غداءه وعشاءه من الحرام وهو مستمر على ذلك مدة طويلة .

***

و من الاسباب المهلكة التجسس والتسمع بكلام من يكره استماعه.
وقد نهى الله تعالى ورسوله عن ذلك وأخبر الرسول ﷺ بما له فى العذاب.

قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات :١٢] وقال رسول الله ﷺ " **ولا تجسسوا ولا تحسسوا** ". رواه البخارى .

فهذا نهى من الله عز وجل ونهى من رسوله ﷺ فأين امتثال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإذا تجرأت على المخالفة فاستعدى لوبال المخالفة .

قال رسول الله ﷺ : "**من استمع إلى حديث قوم وهم كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة**" .

رواه البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

والآنك : بضم النون والمد والكاف هو الرصاص المذاب فنسأل الله تعالى العافيـة فإن أنضاف إلى ذلك نميمة وهى نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد زاد الإثم والعقوبة.

قال رسول الله ﷺ " **لا يدخل الجنة نمام** ".

رواة البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال ﷺ " **إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول** "

رواه البخارى ومسلم . نعوذ بالله تعالى من عذاب القبر .

ومعنى ما يعذبان فى كبير : يعنى فى زعمهما أنه كبير لما فيه فى المخالفة التى أوجبت هذه العقوبة التى لا يطيقها الجبال وقيل: كبير تركه عليهما لأن النفس نزاعة إلى الإفساد بطبعها والحق ثقيل فثقل ترك النميمة عليها .

فإن انضاف نقل الكلام إليها أن صارت ذات الوجهين وصارت شر الناس قال رسول الله ﷺ " **تجدون شر الناس ذات الوجهين الذى يأتى الناس بوجه وهؤلاء بوجه** "

رواه البخارى ومسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
وقـــد ذم الله تعالى ذلك فقال : ﴿ **يَسْتَخْفُــونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ الـلّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًــا** ﴾ [النساء: ١٠٨] وفيه إشارة إلى جهل من فعل ذلك بربه وبُعده عـــنه فـــلا مصيبة أعظم ممن الناس أعظم فى قلبه من ربه حيث استخفى ممـــن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ولم يستخف من بيده الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير .

وقـــد كثر ذو الوجهين حتى لا تكاد تجد أحدًا خالصًا من ذلك إلا من وفقه الله تعـــالى وحمـــاه من هذه العقوبات وذلك عزة وأكثر ذى الوجهين من النســـاء لضعف عقولهن ودينهن ويقينهن ومن هذه صفته فإيمانه يتزلزل سريع التحول والعياذ بالله تعالى ولهذا كن أكثر أهل النار.

* تنبيه مهم ! يتعلق بالنميمة فكل من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فلان أو فلانـــة فيك كذا وكذا وجب عليه ستة أمور ولا تغفل عن قولى وجب لأن الواجب هو الذى يعاقب الشخص على تركه.

الأمر الأول : أن لا يصدق النام لأنه فاسق بنص القرآن العظيم والفاسق لا يقبل الله تعالى قوله وقد أمر الله تعالى بالتثبيت من صدقه فقد خالف الله تعالى .

الأمـــر الثانى : أن ينهاه عن ذلك ويقبح فعله وينصحه بتحذير ما أعد الله تعالى له من العقوبة .

الأمـــر الـــثالث : أن يبغضـــه الله تعالى فإن النمام يبغضه الله تعالى لأنه شيطان فما أجهل من لا يبغض ما أبغضه الله تعالى والبغض فى الله تعالى واجب ومن رأى منه من نقل إليه نميمة فقد ورط نفسه فى مهلكة عظيمة.
قـــال مجاهد : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : «أحب فى الله وأبغض فى الله وعاد فى الله فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل

طعـــم الإيمـــان وإن كـــثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت مؤاخاة في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئاً.

الأمر الرابع : أن يظن المنقول إليه بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢] فتنبه لذلك فـــبادرة النفس إلى التصديق أسرع من البرق لا سيما إذا كان المنقول عن عدواً فإن قوى وازع الطبع فاقمعه بوازع الشرع وإلا فأنت هالك.

الأمـــر الخـــامس : أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك فقد نهى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام عن التجسس كما تقدم.

الأمر السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته لأنـــه يصير نماماً وإذا صار نماماً فاته الثواب وترتب عليه العقاب ومثل هذا هو المصاب.

دفـــع شخص إلى الصاحب ابن عباد رقعة يحثه على أخذ مال يتيم وكان مـــالاً عظيمـــاً فكتب الصاحب على ظهر الرقعة النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة والميت رحمة الله واليتيم جبرة الله والمال ثمرة الله والساعي لعنة الله عز وجل.

***

ومن الأسباب المهلكة اللسان:

وله آفات لا تكاد تنحصر وهو مع كثرة آفاته سريع الحركة هين الانفعال قـــليل الكل يكاد ماء القطر ينفذ وحركاته لا تنفذ بكلمة منه مع قلبها تهلك سائر الجسد مع ذهاب النفس وحصول غضب الرب.

قال رسول الله ﷺ : « **إذا أصبح ابن أدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان**

تقــول : اتــق الله تعــالى فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » (١).

رواه الترمذى.

ومعنى تكفر اللسان تنزل وتخضع له.

وقال رسول الله ﷺ : "**إن الشخص يتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقى بها بالإ يهوى بها فى جهنم**" (٢).

رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

وفى حديــث آخر «**إن العبد ليتكلم الكلمة ما تبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب** » (٣).

رواه البخارى ومسلم ...ومعنى يتبين يتفكر أهى خير أم لا.

وقال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل مــا كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله عز وجل له بها سخطه إلى يوم لقائه** » (٤).

رواه مالك والترمذي وقال: حديث حسنٌ صحيح.

وقـــال سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قلت : يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به؟ قال : قل ربي الله ثم استقم ، قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ ؟ فأخذ ﷺ بلسان نفسه ثم قال : **هذا** (٥).

رواه الترمذى وقال : حديث حسنٌ صحيح.

إتيان السائل بصيغة أخوف : التى هى صيغة أفعل التفضيل وإقراره عليه

---

(١) صحيح : رواه الترمذى (٥/٢٦١).

(٢)صحيح : رواه البخارى (٢/١٥١).

(٣)صحيح : رواه البخارى (٢/١٤٨) ، ومسلم (٢/١٩١).

(٤)صحيح : أخرجه الترمذى (٣٠/٢١٤٠).

(٥) صحيح : أخرجه الترمذى (٣/٢١١) ، والطبرانى (١٩/٥٧).

الصلاة والسلام له جوابه يفيد أن اللسان أخوف المخوفات فلينته لذلك.
وقال عقبة بن عامر رضى الله عنه قلت : يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ﷺ : «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك**» [١].
رواه الترمذى وقال حديث حسن.

وقال معاذ رضى الله عنه قلت : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار؟ قال : « **لقد سألت عن عظيم وإنه يسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان** ثم قال ﷺ : **ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جُنة والصدقة تطفى الخطيئة كما تطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل** ثم تلا « **أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » [السجدة : ١٩] ثم قال عليه الصلاة والسلام: ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت: بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ : **ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**".
رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح.
وقال أبو هريرة رضى الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال: الفم والفرج.
رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.
وكثير من النساء بل أكثر النساء بهذه الصفة لأنهن سريعات الانفعال والانقياد أسيرات الشبهات والشهوات يملن مع كل ريح ولهم أعوان من جنسهن يفزعون إلى كل ناعق هم أتباع الرجال لهم من العذاب والنكال ما

---

(١) **إسناده جيد** : أخرجه الترمذى (٣/٢١١) ، والطبرانى (١٩/٧٥).

يـــأتى إن شاء الله تعالى ، وقد تقدم أن آفات اللسان لا تنحصر فنذكر نبذة يسيرة منها:

منها كثرة الكلام . قال رسول الله ﷺ :

((**لا تكـــثروا الكــــلام والكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذلك فإن كـــثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى**)). رواه الترمذى.

سبب ذلك أن اللسان ترجمان القلب والقلب الخالى عن التلذذ بالذكر وطيب المـــناجاة والتمـــتع بالخـــلوة بالحبيب مسجون بالشهوات متلوث بالأخلاق المذمومة يزخرف له الشيطان لذة الاجتماع بالخلق وطيب المنادمة ليصده عـــن ذكـــر الله تعالى الذى هو سبب سعادة الدارين فينطق من قلبه أنوار الخوف فيتصاعد دخان الهوى فيعمى القلب عين القلب ويسد سمعه فيصم عـــن الواعظين ويعمى عن موضع الخط وهذا عين القسوة وبذلك يحصل الأبعـــاد نسأل الله عز وجل العافية من طرده وإبعاده فما أشقى من تسبب فى إبعاده عمن بيده الملك وتذلى بغرور من أبعد الأبعاد فلا يا من مثل أن تلحق به فيبقى فى عذاب لا آخر له.

قـــال رسول الله ﷺ : ((**من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به**)) (١)

رواه أبو حاتم فى روضة العقلاء ورواه البيهقى فى شعب الإيمان.

ومنها : أى ومن آفات اللسان : شهادة الزور وهى من المهلكات العظيمة ولعظم أمرها نهى الله عنها غير مرة وبالغ رسول الله ﷺ فى أمر.

قـــال الله تعالى:﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُـــمُ الأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الـــزُّورِ**﴾ [الحج: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ **لاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ**

---

(١) ضعيف : رواه البيهقى فى "الشعب" (٥٠٨٧).

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الاسراء:٣٦] وقال رسول الله ﷺ :

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» [1].

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه واسمه نفيع بن الحارث فانظر كيف قرنها بالإشراك بالله عز وجل وجعلها من أكبر الكبائر كقتل النفس وشرب الخمر وأكل مال اليتيم وقولهم حتى قلنا: ليه سكت رحمة له من شدة ما حصل له من التحذير منها.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** [الإسراء: ٣٦] يفيد أن ما ليس يتحققه الإنسان ويجزم به فهو من شهادة الزور، لأن العلم لا يقبل التشكيك حتى لو غلب على ظن الشخص شئ وقوى ظنه قوة شديدة بحيث يجوز له الحلف عليه لا يجوز له أن يشهد فإن شهد مع قوة هذا الظن فهي شهادة زور، ألا ترى إلى قوله ﷺ مشيراً إلى الشمس على مثلها فاشهد أودع.

ومن شهادة الزور ما يعتاده أهل الأسواق والحارات من كلمة يقولها شخص إما كذباً أو ظناً لاعتماده على شئ ثم تفشوا تلك الكلمة حتى تشيع في تلك السوق أو الحارة فيشهد الشخص بذلك أو يقول ولده الصغير جرى كيت وكيت فيعتقد أبوه أو أمه صدقه لفرط محبته ويشهد بما يقول وذلك شهادة زور وقسي على ذلك فالحذر الحذر من ذلك، فإن كثيراً من الخلق يتساهلون في ذلك فيقعون في هذه الكبيرة التي عاقبتها وخيمة.

ومنها : أي من آفات اللسان البذاءة وهي خصلة خبيثة وهي مع خبثها

---

(١) صحيح : رواه البخاري ، ومسلم (٥٩٧٦) ، (٢/٨١ ، ٨٢).

أكثر من القطر فى ألسنة الرجال فضلاً عن النساء الناقصات العقل والدين وهى سبب بغض الله تعالى لمتعاطيها فيأذل من أبغض الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله يبغض الفاحش البذئ**)) (١).

رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

والبذئ : هو الذى يتكلم بالفحش وردئ الكلام.

وقال رسول الله ﷺ : ((**إياكم والفحش**)) (٢).

رواه النسائى فى سننه الكبرى ورواه الحاكم من حديث عمر بن العاصى رضى الله عنه وصححه، ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

فيأخذى من أحب وتلذذ بما لا يحبه الله عز وجل وقد كثر هذا فى الناس حتى أنهم يفتحون به وهذا يدل على طرد الله تعالى لأنهم أبدلوا منفعة اللسان من الذكر وما خلق له من التوحيد والتهليل والتسبيح وغير ذلك بما لا يحبه الله وفيه رضى الشيطان وهذا غاية الخذلان والخسران.

وقال رسول الله ﷺ: ((**إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ، الصياح فى الأسواق**)) (٣).

رواه ابن أبى الدنيا من حديث جابر رضى الله عنه ورواه الطبرانى من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما بسند جيد دون لفظ الصياح فى الأسواق.

وقال رسول الله ﷺ : ((**الجنة حرام على كل فاجر أن لا يدخلها**)) (٤).

رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمر رضى

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢١١/٣) ، وأحمد (٢٠٢/٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند (٤١١/٢) والحاكم (١٢/١) ، وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) ضعيف : أخرجه الطبرانى (١٤١٥) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣١٠).

(٤) ضعيف : أخرجه أبو نعيم (٢٨٨/١) ، وابن أبى الدنيا فى الصمت (٣٢٢).



الله عنهما .

وقـــال رســـول الله ﷺ : «**أربعة يؤذون أهل النار على على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له: ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول: إن الأبعــد كـــان يـــنظر إلى كل كلمة بذيئة خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث**» [1].

رواه ابـــن ابى الدنيا من حديث شقى بن ماتع واختلف فى صحبته وذكره أبو نعيم فى الصحابة رضى الله عنهم.

وقـــد تكـــون الكلمة مع بذائها مضحكة وهو الغالب فى ألسنة السفلة فهذه يزداد عقوبتها.

قـــال رســـول الله ﷺ : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الجلساء ويهوى بها فى جهنم أبعد من الثريا**».

رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بسند جيد.

فـــإن وقع ذلك فى الخصام فقد زادت مصيبتها لاتصافها بأبعد الخلق عن رحمة الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ : « **المستبان شيطاناً تبعاً ونان ويتهانزان**».

رواه أبـــو داود الطيالســـى مـــن حديث عياض بن حمار رضى الله عنه وأصله رواه الإمام أحمد بزيادة وسندهما صحيح.

والأحاديث فى ذلك كثيرة وفيما ذكرناه تذكرة وموعظة لمن أراد الله تعالى بها خيراً والشقى من لا يتعظ نعوذ بالله تعالى من الشقاوة والله أعلم.

ومنها أى ومن آفات اللسان اللعن وهو كثير فى ألسنة الأشرار وكثير من الأخـــباث لاســـيما أهل الأسفار ولعظم عقوبته وفرط متعاطيه قد أعتنى الشيطان بدرسه على الخلق أجراه على ألسنته الكبار والصغار وذمنه عليه

---

(١) ضعيف : رواه الطبرانى (٧٢٢٦) ، وأبو نعيم فى "المعرفة" (١٤٤٣)، (٣٧٩٢) بتحقيقنا ، وقال الهيثمى: ابن ماتع ، ولابن الأثير مانع.

حـــتى ينطق العاقل البيب به مع كمال عقله وتحرزه وقد حذر منه رسول الله ﷺ تحذيراً بليغاً بالفعل تارة وبالأخبار تارة وبالنهى تارة وقال عمران بن الحصين رضى الله عنه بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع رسول الله ﷺ ذلك فقال : «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة** » قال عمران : فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد [١].رواه مسلم

وقـــال رسول الله ﷺ: «**ليس المسلم بالطعان ولا اللعان ولا البذئ**» رواه الترمذى وقال : حديث حسن.

وقال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنه إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مسلكاً رجعت إلى الذى لعن فإن كان أهلا لذلك وإلا رجعت على قائلها**» [٢]. رواه أبو داود.

وكم من شخص يلعن دابة ومن باعها ومن تسبب فيها وغير ذلك وهؤلاء ليســـوا مـــن أهلها لاسيما من يلعن أباء أولئك وهم موتى فهذا شخص قد تســـبب فى هلاك نفسه فإن اللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله عز وجل فإن كان الملعون مؤمناً فقد وقع اللاعن بهذه الكلمة الخبيثة فى أمر عظيم.

قال رسول الله ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله**» [٣].

رواه الـــبخارى ومسلم من حديث ثابت بن الضحاك الأنصارى رضى الله عنه وهو من أهل بيعة الرضوان.

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أبغض عباد الله إلى الله عز وجل

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٩٥) وأحمد (٩٨٦٤).

(٢) حسن : أخرجه الترمذى ١٩٧٧ ، وأحمد (١/٤٠٥) (٣٠٢) رواه أبو داود (٤/٤٩٥)، والطبرانى فى الأوسط (٤١٥٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٣/٣) ومسلم (٢/٢٤٠).

لعان.
* فيـــا ذل من رضى لنفسه بان يكون أبغض عباد الله إلى الله وكثير من الـــناس يغفـــل عن ذلك ويجهله فإذا وقع فى ذلك وذكره شخص غيرة لله تعـــالى ونصيحة له لما أوقع نفسه فيه يقول والله أتفقع قلبى منه فيقال له: لـــو علمت ما ترتب عليك من الآثام ومن بغض الله عز وجل لك ما قلت ذلك ولو فزضت، وأما نسبة غضب الله عليك من ألم قلبك وما يدريك أن هذه الكلمة سبب ما ذكره رسول الله ﷺ:
قـــال رســـول الله ﷺ : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أنها تبلغ به ما بلغت فيكتب عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**» [١].
حديث صحيح وقد تقدم.
وقال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليتكلم ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار**» [٢].
وهـــذا لفـــظ الـــترمذى وقال : حديث حسن غريب ويكون التذكير بلطف وحســـن سياســـة لئلا يكرر اللعن أو يقع فيما هو أشد منه فإن تذكر فهو مؤمـــن فـــإن الذكـــرى تنفع المؤمنين وإن لم يتذكر فهو شخص قد دخل الشـــيطان فى دماغـــه يخشى عليه من أن يقع فى علمه تردى إلى الكفر والعيـــاذ بالله فإن ألفاظ الكفر كثيرة جداً فكم من شخص يتكلم بكلمة الكفر وهو لا يشعر لجهله وهذه بغية الشيطان الذى حذرنا الله عز وجل منه فإنه يود أن لا يموت أحد على التوحيد حتى يخلد معه فى عذاب الأبد.
فالحذر الحذر من اللعن فإنه من المهلكات والله المستعان وعليه التكلان.
ومـــنها أى ومن آفات اللسان الكذب وهو فى ألسنة الخلق أكثر من المطر مع شؤمه وسوء عاقبته فى الدنيا والآخرة وهو باب من أبواب النفاق كما

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) صحيح : أخرجه الترمذى (١٩٧٧) ، وأحمد (٣٣/٤).

قاله رسول الله ﷺ عليه وسلم رواه ابن عدى فى كتاب الكامل من رواية أبى أمامة رضى الله عنه[١].

وأحد أركان النفاق كما قاله رسول الله ﷺ: ((**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**)) [٢].

رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وبن العاص رضى الله عنهما وهو من أكبر الخيانة.

قال رسول الله ﷺ : ((**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت فيه كاذب**)) [٣].

رواه أبو داود من حديث سفيان بن أسد ورواه الطبرانى والإمام أحمد من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه بسند جيد.

وهو دليل إلى النار قال رسول الله ﷺ : ((**إن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله تعالى كذاباً**))[٤].

رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود.

وقال أوسط بن إسماعيل بن أوسط سمعت الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ : فقال قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا أول ثم بكى وقال: ((**إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار**)) [٥].

رواه ابن ماجة وابن السنى بسند حسن.

---

(١) ضعيف: رواه ابن عدى فى "الكامل" (١/٢٩).

(٢) صحيح : رواه البخارى (٣٤) ومسلم (٢/٤٦).

(٣) حسن : أخرجه أحمد (٨٧٥١) ، وأبو داود (٤٩٧١).

(٤) صحيح : أخرجه البخارى (٣/٢٨٦) ، ومسلم (٢٦٠٧).

(٥) حسن : أخرجه أحمد فى المسند (١١٥٣٢) ، وابن ماجه (٣٨٤٩).

وقال رسول الله ﷺ : «**التجار هم الفجار** فقيل: يا رسول الله أليس الله أحل البيع فقال عليه الصلاة والسلام : «**نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون**» [١].

رواه البيهقي والإمام أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد.

وهو ينقص الرزق كما قاله رسول الله ﷺ . رواه أبو الشيخ ابن حيان في طبقات الأصبهانين ورواه غيره.

قال سمرة بن جندب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى منكم أحد رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: إنطلق وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتهدهد الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذ فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى قال: قلت لهما: سبحان الله ، ما هذا ؟ : قالا لي: انطلق قال: فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم ثم عليه بقلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعنيه إلى قفاه قال : ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى قال: قلت: سبحان الله ما هذان ؟ قال: قالا لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على ثقب مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات قال: فأطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضاء قال: قلت لهما: ما هؤلاء ؟ قال: قالا لي: انطلق أنطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا أعلى شط النهر رجل قد جمع عنده

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٣٤٥) ، والحاكم (٢/٧).

حجـــارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيغفر لـــه فاه فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فعز لـــه فاه فألقمه حجراً قال: قلت لهما: ما هذان قال: قالا لى: انطـــلق انطلق قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرأة كأكره ما أنت راء رجـــلاً مرآة وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها قال: قلت لهما: ما هذا ؟ قالا : انطلق انطلق فانطلقنا ..... إلى أن قال : قلت لهما : فإنى قد رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت ؟ قال: قالا لى: أما إنا سنخبرك أمـــا الـــرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القـــرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشـــر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغد ومن بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء والعراة الذى فى مـــثل بناء التنور فإنهم الزناة والزوانى وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى الـــنهر ويلقهم الحجر فإنه آكل الربا وأما الرجل الكريه والمرأة الذى ضد النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم)) [١].

رواه الـــبخارى وفى روايـــة ((**فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأســـفله واسع فتوقد تحته ناراً فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فـــإذا خمـــدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة ، والذى رأيته يشد شـــدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيمنع به إلى يوم القيامة، والذى رأيته يشدق رأسه فرجل علمه الله تعالى القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فيفعل به إلى يوم القيامة**)).

قوـــله : يثلغ رأسه هو بالثاء المثلثة والغين المنقوطة معناه يشدخه ويشقه وقوـــله : "يـــتدهده" يعنى يتدحرج ، و "الكلوب": بفتح الكاف وضم اللام المشددة هذا هو المعروف الذى تسميه العامة كلاب.

وقوـــله "يشرشر" أى يقطع ، وقوله: "ضوضوا" بعناوين منقوطتين يعنى

(١) صحيح : أخرجه البخارى (١٣٨٦) الجنائز.

صاحوا ، وقوله "فيفغر فاه" هو بالفاء والغين المنقوطة أى يفتح.
وقوله "يحشها" هو بفتح الياء وضم الحاء المهملة وبالشين المنقوطة يعنى يوقدها.

ومنها: أى ومن آفات اللسان الغيبة : وهى من أقبح المعاصى ومع قبحها فهى غاشية فى الخلق لا يكاد يسلم منها أحد وقد جعلوها فاكهتهم حتى أن التالى للقرآن يتعاطاها وهو يقرأ آية النهى وإن كان معتكف فى الجامع وفى رمضان لأنه يكون بالقلب وحده وهى حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وحَدُّها ذكرك أخاك بما فيه بما يكره سواء كان فى بدنه كقولك : أعمى أحول أعمى صغير العينين كبيرهما أقرع أكتع أعرج أحرب أسود أصفر أشقر رقيق بطين طويل قصير وغيره ذلك مما يوصف به.

أو كان فى دينه كقولك : سارق، خائن ، ظالم ، سكرى، شاهد زور، تارك للصلاة أو يزكى ولكن يخرجها فى غير محلها متساهل بالصلاة وغيرها من العبادات لا يتوقى النجاسات متساهل عاق والديه لا يزال يتجزأ عليهما نمام مغتاب وغير ذلك من الأوصاف التى ترجع إلى قلة الدين.

أو كان فى دنياه كقليل الأدب يستهزئ بالناس كبير فى نفسه لا يرى لأحد عليه حقاً كثير الكلام كثير الأكل كثير النوم ينام فى غير وقته ويجلس فى غير موضعه ونحو ذلك.

أو كان فى أبواه كأبوه فاسق هندى زنجى نبطى زبال حايك إسكافى ونحو ذلك مما يشعر بنقص.

أو كان فى خلقه شئ: كأحمق سيئ الخلق شرير صعب الراس نزق متكبر عجول عاجز جبان خالع عبوس مسخرة دنئ النفس خارج ونحو ذلك.

أو كان فى ملبسه كطويل الذين ، طويل الكم ، واسع الكم ، ضيق الكم، يلبس ثوب الشهرة ، وسخ الثياب ، نعله نعل الخشن أو الفلاحين ونحو ذلك.

أو كان فى ركوبه كيتورك على الدابة ويميل شقة ويظهر صدره ونحو

ذلــك والحاصل أن يذكر الإنسان بما فيه بما يكره كما تقدم سواء كان فى بدنـــه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو عمامته أو ثوبه أو مشيه أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو عبوسته أو طلاقته أو غير ذلك مما يتعلق به.

وسواء ذكره باللفظ الصريح أو بالكناية أو بإشارة باليد أو الرأس أو رمز بـــالعين أو الحـــاجب ونحو ذلك كالمشى بالتعارج والأكل بالتشدق وتكبير اللقمة وتصغيرها حتى مسكة القلم والقدوم وغير ذلك مما لا يكاد ينحصر والضابط أن يوجد منه كل ما يفهم المقصود فهذا كله من الغيبة المحرمة لأن الغيبة بالنطق إنما حرمت لحصول الأذى.

وهـــذه الأمـــور تفيد ذلك وقدر ورد النص فى بعضها كما سيأتى وأفحش الغيـــبة غيبة القراء والطلبة والمتصوفة من الرجال والنساء فإنهم يفهمون المقصـــود مـــن الغيبة على صفة أهل الدين والصلاح مع إظهار التعفف وحصول الثناء على الله تعالى بما حمى منه ما يرتكبه غيره كقول أحدهم الحمـــد لله الذى عافانا من الدخول على الأمراء والتبذل لأجل هذا الحطام ونحو ذلك وكقوله نعوذ بالله تعالى من قلة الحياء ومن الشره والتطلع إلى ما فى أيدى الناس ونحو ذلك.

ومـــنهم مـــن هو أغوص فى المكر لأنه أسرف فى مدح من يريد غيبته فيقـــول: لا إلـــه إلا الله ســـبحان الله غير القلوب قد كان فلان له قوة فى العبادات والمجاهدات وقد حصل له فتور.

وبعضهم غوص فى المكر من هذا فيذم نفسه أولا فيقول: كنا على حالة وصلنا فيها إلى أمور ثم فترنا وفلان كان أقوى حالاً منا ولكن نرجوا من الله تعالى العود علينا وقد بشرت بذلك من بعض القوم دون فلان وقد لاح الأمـــر وهـــؤلاء أشـــر أهل الغيبة لأنهم جمعوا بين الغيبة ومدح النفس والرياء ونقص الغير وغير ذلك من المعاصى الخبيثة.

حـــتى أن بعضهم يظهر الحرقة والاغتمام لمن اغتابه واغتيبت عنده وهو كاذب لأنه لو كان صادقاً لأخفاء ذلك وجسم مادة ذلك.

وهؤلاء بعضهم لا يدرى أن مثل ذلك غيبة لجهلة أو يدرى ولا يظهر ذلك وهذا متعرض لمقت الله عز وجل.

وإذا عرفت هذا فلنذكر بعض الأدلة لأن التطويل لا يفيد لمن أشقاه الله عز وجـــل، ومن أراد الله عز وجل به خيراً دليل واحد يكفيه طول عمره ولا يفرغ من العمل به بل الخلق كلهم فى ذلك كواحد.

فعـــليك بالانقياد إلى الحق ورفض الباطل وبادر إلى النجاة يا مغرور ولا تمـــاطل وإذا قـــرع سمعك قال الله عز وجل وقال رسول ﷺ فأصغ قلبك واستحضر عظمتهما وسوء مخالفتهما فإن حصل لك وارد الخوف فأبشر بالـــنجاة وإلا فاعلم أنك مفتون واستعد لحفرة من حفر النار لسوء لغطك ولفظك.

قـــال الله عز وجل : **﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق : ١٨]أى حاضر.

وقـــال الله عـــز وجل: **﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـــئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** [الاسراء : ٣٦]

وقال الله عز وجل: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾** [الحجرات:١٢]

نـــهى ســـبحانه وتعالى عن الغيبة وأمر بتقواه فالمغتاب مخالف لربه من وجهين وذلك يفيد تكثير العذاب.

وقالت عائشة رضى الله عنهما : لا يغتاب أحد أحداً فإنى قلت لامرأة : إن هـــذه طويلة الذيل فقال رسول الله ﷺ : **«ألفظى فلفظت قطعة أو بضعة لحم»** (١).

---

(١) ضعيف : رواه ابن أبى الدنيا فى "الصمت" (١٧١).

رواه ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى تفسيره وفى سنده امرأة لا أعرفها.
وقال أنس رضى الله عنه : أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم وقال: لا يفطر أحد حتى أذن له فصام حتى أمسوا فجعل الرجل يجئ فيقول: يا رسول الله فتاتان من أهلك ظللتا صائمين وإنهما يستحيان أن يأتيانك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه فعاوده فقال رسول الله ﷺ : "**إنهما لم يصوما**" وكيف صام من ظل اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فأمرهما أن كانتا صائمين أن يستقينا فرجع إليهما فأمرهما فاستقاءا فقآت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبى ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده لو بقيت فى بطونهما لأكلتهما النار**» [1].
رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت ورواه ابن مردويه فى التفسير وخرجه الطيالسى فى مسنده بسنده والله أعلم.
وفى رواية «لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك فقال : يا رسول الله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال رسول الله ﷺ : **ائتونى بهما فجاءتا فدعا بإناء أو قدح** وقال عليه الصلاة والسلام لأحدهما : **قيئا** فقاءت من قيح ودم وحديد حتى ملأت القدح وقال عليه الصلاة والسلام للأخرى : **قيئا** فقاءت مثل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: **أن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس**».
وهذه الرواية رواها الإمام أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ [2].
ورواها أبو يعلى الموصلى، وخرجها البيهقى من طريقين فهذا يدل على أن الغيبة بمنزلة الأكل وذهب بعض العلماء إلى أنها تفطر الصائم ولا يستفيد بذلك إلا الجوع.

---

(١) ضعيف : رواه ابن ابى الدنيا فى الصمت (١٧٠).

(٢) حسن : أخرجه أحمد (٧٨٤٢).

قال رسول الله ﷺ : « **رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**». [١]

رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط البخارى.

وقال رسول الله ﷺ : « **خمس يفطرن الصائم: الغيبة والنميمة والكذب والقبلة واليمين الفاجرة**»

رواه الأزدى من حديث انس رضى الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ : « **من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة وقيل له : كله ميتاً كما أكلته حياً فيأكل ونضج وتكلح**» [٢].

رواه ابن مردويه فى تفسيره ورواه أبو يعلى الموصلى

وقالت عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ : « **حسبك من صفية كذا وكذا فقال عليه الصلاة والسلام : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»

وكذا يعنى قصيره وقد ورد كذلك فى بعض الروايات.

قال الإمام العالم المتفق على جلالته وصلاحه أبو زكريا محى الدين النووى معنى مزجته : خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه أو لشدة نتنها وقبحها.

وهذا الحدث من أعظم الزواجر من الغيبة أو أعظمها وما أعلم شيئاً من الأحاديث يبلغ فى الذم لها هذا المبلغ ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا**

---

(١) صحيح : رواه النسائى (١٧٨/٣) وابن ماجة (٢١١٧) ، والحاكم (١٦٤/٤).

(٢) ضعيف : رواه أبو يعلى فى المسند (٧٨/٢).

وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤] نسأل الكريم لطفه والعافية من كل مكروه انتهى كلامه.

وإذا كان هذا في كلمة هي في وصف خلقها الله تعالى فكيف غيرها هي أبلغ في التأذي من لفظ قصيرة.

وكما تكون الغيبة باللفظ كذا تكون بالإشارة كما تقدم ويدل لذلك قول عائشة رضي الله عنها : دخلت علينا امرأة فلما أومأت بيدي أنها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام : «**اغتبتها**»

رواه ابن أبي الدنيا وابن مردويه في تفسيره ورجاله ثقات نعم في سنده حسان وقد وثقه ابن حبان ورواه الزاغوني وأنها أشارت بإبهامها.

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع : « **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم في بلدكم هذا ألا هل بلغت** » [١].

فهذا نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على تحريم الغيبة وسوء عاقبتها سواء كانت باللسان أو بالإشارة أو بالرمز أو بالخط لأنه أحد اللسانين.

والضابط في حدها ما نطق به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١/٩٨) ، ومسلم (١/١٣٢).

قال رسول الله ﷺ : «**أتدرون ما الغيبة ؟** قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: **ذكرك أخاك بما يكره** قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» [١].

رواه مسلم وأبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

واعلم أنه كما تحرم الغيبة كذلك يحرم استماعها وإقرار المغتاب عليها لأن المستمع أحد المغتابين وقد رواه بعض الأئمة حديثاً ولا أعرف من خرجه وفي القرآن ما يغني عنه قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الاسراء : ٣٦] فيجب على المستمع الإنكار عليه لأن في الغيبة إذلالاً لمن اغتيب.

قال رسول الله ﷺ : «**من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عز وجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق**» [٢].

رواه الطبراني من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

ولأن الغيبة معصية يجب إنكارها فعدم الإنكار معصية وهذا في القادر على الإنكار بلسانه فإن لم يقدر بلسانه وقدر على قطعها بطريق آخر كقطع الكلام المستغيب بأمر آخر وجب عليه لحصول المقصود بذلك فإن لم يقدر على ذلك وجب عليه مفارقة المجلس قال الله تعالى ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام:٦٨].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٣١/٢).

(٢) ضعيف : أخرجه الطبراني (٣٤٧٦).

فإن لم تقدر على مفارقة المجلس بعذر أو كان عاجزاً عن الإنكار فإنكر فلم يضر فخلاصه أن يسد سمعه ويشتغل بذكر الله عز وجل إلى أن يقدر ويذهب والحاصل أنه يجب عليه الإنكار بلسانه أو بيده أو بغير ذلك حتى بقلبه وإلا وقع في محذور عظيم.

قال رسول الله ﷺ : «**ما من نبي بعثه الله تعالى في آمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**» [1].

رواه مسلم

* فتنبه لذلك فخلق كثير لا يهتدون لذلك وربما يسمع لشخصاً يغتاب آخر وليس له تعلق به فيصغي إليه، وربما يساعده على ذلك حتى أن المستغيب يقول : فعلت معه كذا وكذا هذا الفاعل ويذكر كلاماً فيه أنواع من الغيبة وما يتضمن مدح لنفسه من جهة الإحسان إليه فيقول المستمع هذا ولد زنا فيقع في معاص منها سماع الغيبة وتحسينها له وإقراره على مدح نفسه والتعاون على الإثم والعدوان وقد نهى الله عنهما في كتابه العزيز ووجوب حد القذف عليه قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٣] وقد وصفه الله بأنه عظيم فالله عز وجل يعلم قدر عظمه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٦٩).

فيا ذل من أوقع نفسه فى هذه المهالك وفوت نفسه خيراً عظيماً قال رسول الله ﷺ : «**من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله تعالى عن وجهه النار يوم القيامة** » [(١)].

رواه الترمذى وقال : حديث حسن وفى رواية للطبرانى « **كان له حجاباً من النار** »

وكلاهما رواه من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه وروى الطبرانى والإمام أحمد « **من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله عز وجل أن يعتقه من النار**»روياه من حديث أسماء بنت يزيد وروى ابن أبى الدنيا « **ردَّ الله عن عرضه يوم القيامة**» [(٢)].

***

ومن الأسباب المهلكة الاستدراج والغفلة عن سكرات الموت

وهول المطلع وأهوال القبر ورؤية منكر ونكير وسؤالهما والبعث والنشور والعرض على الجبار والميزان والصراط وذقنه مع حدثه، ثم فصل القضاء إلى غير ذلك من الأمور المهولة ثم لا يدرى إلى أين مهبطه فلعله هبط إلى نار أمر الله عز وجل أن يُوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة قاله ﷺ.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذى (١٧٠/٣).

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٨٩١٤) ، (٤٥٠/٦) ، والترمذى (٦٩٣١).

وقال رسول الله ﷺ : « **إن فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً** ».

رواه الإمام أحمد.

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشتهم فكيف من يكون طعامه ذلك**» [(١)].

رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وكذا الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : كنا عند أو مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال عليه الصلاة والسلام " **هل تدرون ما هذا** ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : **هذا حجر يرمى فى النار من سبعين خريفاً وهو يهوى فى النار الأن حتى انتهى إلى قعرها.**

رواه مسلم. [(٢)]

وقال رسول الله ﷺ : « **آخر من يخرج من النار يعذب سبعة الآف سنة** » رواه بعض الأئمة ولم أعرف من أخرجه.

نعم روى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلى «**يخرج بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان**».

---

(١) حسن : أخرجه أحمد (٩٧٣٤).

(٢) صحيح : رواه مسلم فى الجنة (٢٨٤٤).



وكان الحسن البصرى يقول ياليتنى ذلك الرجل التى ذكرت بعض أوصافه فمن غفل عن هذه الأهوال فقد ورط نفسه فى أمر عظيم لا سيما المستدرج يتوالى النعم عليه.

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قيل كما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة ولهذا قال على رضى الله عنه: كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مغرور بالستر عليه.

* فالحذر من الغرور بالدنيا وزهرتها الحذر الحذر مما أمامك واستعد للموت وسكراته ولعمرى لو لم يكن بين يدى العبد كرب إلا سكرات الموت فضلاً عما بعده لكان جديراً بأن يتنغص عيشه ويتكدر سروره وكان حقيقاً بأن يطول فى ذلك فكره ويعظم استعداده.

لاسيما والعبد فى كل نفس بصدد أن يؤخذ فيذيقه ملك الموت لطمات الموت وسكراته الذى قيل أنها أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشار وقرض بالمقاريض وغلى بالقدور، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت لما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم.

والبدن تجذب منه الروح من كل عرق ومن كل عضو ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً فكيف بجميع العروق ولكل عرق سكرة وكذا لكل عضو سكرة فكم من سكرة ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول: "اللهم هون على محمد سكرات الموت".

وقال عليه الصلاة والسلام: ((**إن أهون الموت بمنزلة حسكة فهل تخرج الحسكة إلا ومعها صوف**)) [(١)].

رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الموت.

قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الموت وعظته وألمه : ((**هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف**))

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من رواية الحسن عن النبى ﷺ وهو مرسل لأن الحسن لم يدرك النبى ﷺ لكن رجاله كلهم ثقات والحسن رضى الله عنه جليل المقدار عظيم العلم والدين لو لم يصح هذا عنده لما قاله.

ولما مات إبراهيم الخليل ﷺ قال الله عز وجل له: كيف وجدت الموت يا خليلى فقال: كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال الله تعالى أما أنا قد هونا عليك الموت.

وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأخبار : حدثنا عن الموت فقال: نعم هو كغصن كثير أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذب رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وبقى ما بقى.

وكان عيسى عليه الصلاة والسلام: إذا ذكر الموت يقطر جلده ماء وكان داود عليه الصلاة والسلام: إذا ذُكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله.

وكان رسول الله ﷺ عنده قدح عند الموت يجعل يده فيه ثم يمسح وجهه ويقول: ((**اللهم هون على محمد سكرات الموت وفاطمة تقول: واكرب**

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى "الموت" (٢٧).

أبتاه» [١] رواه الشيخان وفى رواية ابن خزيمة واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لاكرب على أبيك بعد اليوم، وفى الترمذى : «**اللهم أعنى على غمرات الموت وسكراته**» [٢].

وإذا كانت هذه سكرات الموت على أوليائه فكيف حال المنهمك فى الذنوب والمعاصى لاسيما الظلمة من الحكام وغيرهم وأتباعهم فهو لا يتوالى عليهم مع سكرات الموت آفات الذنوب ودواهى الموت.

ومن ذلك مشاهدة ملك الموت ودخول الخوف منه وروعة القلب ومشاهدة الملكين الحافظين فيقولان له: لا جزاك الله عنا خيراً كم من مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحللتنا وكلام قبيح قد سمعتنا ومشاهدة العصاة منازلهم من النار حتى أن بعضهم يتمنى أن يبقى فى النزع مع شدته خوفاً من موته على غير التوحيد وفى هذه الحالة يحرص الشيطان جنده عليه ويقول لهم: إن فاتكم فى هذه الحالة لا تدركوه أبداً فيأتون إليه فى صورة أب وأم وشيخ وصديق وغير ذلك ويقولون : لمن ترتنا على دين كذا غير دين الاسلام ووجدناه حقاً وخفياً عليك الموت على أن يكون قد سبقت له العادة فيموت على التوحيد وحينئذ يحثوا الشيطان على رأسه التراب ويقول: ويلكم كيف فلت هذا منكم.

اللهم إنى أعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٢١٣) ومسلم (٤/٤٠٨).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٩٧٨) فى الشمائل (٣٧٠) ، بتحقيقنا.

بكى رسول الله وجبريل عليهما الصلاة والسلام خوفاً من الله عز وجل فأوحى إليهما لم تبكيا وقد آمنتكما فقالا : ومن يأمن مكرك.

رواه ابن شاهين في شرح السنة وهو مذكور في أمالي سعيد النقاش فإذا مات أقبل أهله وبكاء فيأخذ ملك بعضاً الباب ويقول: ما أكلت له رزقاً ولا أفنيت له عمراً ولا أنقصت له أجلاً وإن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا يبقى منكم أحداً.

قال الحسن: فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم وبكوا على أنفسهم فإذا غسل وحملت.

قال سعيد الحذرى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق» (١).

رواه البخارى.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها وإن تك سوى ذلك فشر تمنعونه عن رقابكم**» (٢).

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى رواية لمسلم فخير تقدمونها عليه فإذا وضع فى القبر رأى شيئاً مهولاً.

قال رسول الله ﷺ : «**ما رأيت منظر إلا والقبر أفظع منه**» (٣).



رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه.

وكان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر النار فلا تبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعد أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشر**)) (٤).

رواه الترمذى وقال : حديث حسن ورواه الحاكم وصححه.

وقال رسول الله ﷺ ((**القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة**)) (٥).

رواه الترمذى.

وقال رسول الله ﷺ : ((**يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى أكنت تمر بى فداداً**)) (٦).

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ورواه الطبرانى والحاكم .

والفداد : الذى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخارى (٨٦/١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٨٥/١) ، ومسلم (٥٠/٣).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذى (٧٨/١) ، وابن ماجة (٤٢٦٧).

(٤) أخرجه الترمذى (٧٦/١).

(٥) **ضعيف**: أخرجه الترمذى (٧٨/١) ، والطبرانى فى " الأوسط (٣٨٩٢)، وعن أبى هريرة (٤٢٦٧).

(٦) **ضعيف** :رواه ابن أبى الدنيا فى القبور (١٠٨) مرسلاً ورجاله ثقات وابن حبان فى الزهد (٣١١).

قال رسول الله ﷺ : «**أن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعه ولا يكلمه إلا قبره ويقول: ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فما أعددت له**» (١).

رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب القبور مرسلاً ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى كتاب الزهد "ويضمه القبر".

قال عليه الصلاة والسلام: إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ رضى الله عنه.

رواه الإمام أحمد بسند جيد.

وقال أنس : توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله ﷺ فلما انتهينا إلى القبر دخله عليه الصلاة والسلام فالتمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا : يا رسول الله رأينا منك شيئاً فم ذلك ؟ قال : ذكرت ضغطة ابنتى زينب فأخبرت أنه قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين» (٢).

رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الموت.

ثم يأتى منكر ونكير بهولهما.

قال البراء بن عازب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره متلبساً رأسه ثم قال: "**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً** "

---

(١)**إسناده جيد** : رواه أحمد (٦/٥٥، ٩٨)، وذكره الهيثمى (٣/٤٦).

(٢) **حديث مرسل** : رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الموت (ص١١٣، من رواية الأعمش عبد أنس ، وكل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل.

وفى الحديث وإنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين وفيه: من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول "يعنى المؤمن" ربى الله ودينى الإسلام ونبى محمد فينتهرونه انـــتهاراً شديداً وهى آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد: أن صدقت وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء** ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ثم يأتيه آت فى أحسن وجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول: أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول: وأنت بشرك الله بخير من أنت ؟

فيقول: عملك الصالح والله إن كنت لسريعاً فى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً ، ثم ينادى مناد: افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة.

وأما غيره فيقال له: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدرى ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الرحي قبيح الثياب فيقول له : أبشر بسخط الله عز وجل وبعذاب أليم فيقول له: بشرك الله بشر من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريعاً فى معصية بطيئاً عن طاعة الله عز وجل فجزاك الله شراً فيقول: وأنت فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أبكم أعمى من مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن ينقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبلاً لصار تراباً فيضربه به ضربة فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضرب به عينيه فيسمعها من على الأرض إلى الثقلين ثم ينادى مناد: إفرشوا له من نار وأفتحوا له باباً إلى النار فيفعل ذلك.

رواه أبو داود بأكمل من ذلك وكذا الحاكم وصححه وقال: إنه على شرط الشيخين.

ورواه ابن ماجه والنسائي مختصراً [١].

وقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه : كيف بك إذا أنت مت أنطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فذراع وشبر رجعوا إليك وغسلوك وحطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وابصارهم كالبرق الخاطف شعثاً أشعارهما ويحفران الأرض بأنيابهما فيلفان وراءك كيف بك عند ذلك يا عمر.

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور مرسلاً ورجاله ثقات وقال البيهقي: رويناه من وجه صحيح.

ووصفه ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فبينما هم في قبورهم إذ قرع سمعهم نفخة فإذا هم قيام ينظرون وأنت فيهم مغيراً مبهوتاً من شدة الصعقة شاخصاً نحو النداء قد أزعجك الرعب مضافاً إلى عاقبتك فلو لم تكن بين يديك إلا هول هذه النفخة لكان جديراً بك أن لا تلهو ولا تنعم أبدأ ويكون ملوك أهل الأرض هم أذل الجمع وأحقرهم كأمثال الذر بالاقدام.

فسبحان من قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة لم تزل قلوبهم عن الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق

---

[١] صحيح : رواه أبو داود (٣٢١٢) والنسائي (٨١/٢) وابن ماجه (٣٧/١)(١٥٤٩).

فإذا هم بالساهرة نقلهم من نور المهود إلى ظلمة اللحود، من ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مضاجعة الدام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب إلى تعفير الخدود بالتراب ومشاهدة هول الحساب ومن أنس العشرة إلى الأهوال والحسرة.

فانظـــر واعتبر يا غافل هل وجدوا من ذلك حصناً ؟! أم اتخذوا من دونه حجابـــاً وحرزاً ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** ﴾ [مريم : ٩٨].

ثم تقبل الوحوش من الجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة لكن حشرهم شدة الصعقة ثم حفاة عراة إلى أرض المحشر وهو صعيد واحد.

قال رسول الله ﷺ : ((**تحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص ليس فيها معلم لأحد**)) [1].

رواه البخارى ومسلم.

فإذا اجتمع الخلائق تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الأرض لجمود سراجها ، فبينما هم كذلك إذ تزلزلت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وهو خمسمائة عام، والملائكة قيام على أرجائها ، فيا هول انشقاقها فى سمعك! ثم تتناثر وتضير وتشتبك، فتصير كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة وبعضهم يمشى على وجهه فيزدحم فى الموقف أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع من ملك وأنس وجن

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٢٧) ، ومسلم (٢٨٥٩).

ووحش وطائر وقد أشرقت عليهم الشمس وتضاعف حرها وأدنيت من رؤوس العالمين قاب قوسين أو أدنى فأشتد الغم والكرب من وجهها مع الأنفاس، واحتراق القلوب بنار الخوف، ففاض العرق حتى سال على صعيد القيامة، ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم، فبعضهم يبلغ ركبتيه، وبعضهم يبلغ حقويه وبعضهم إلى شحمه أذنيه وبعضهم يكاد يغيب.

قال رسول الله ﷺ : ((**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم**)) [١].

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ : ((**تدنوا الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب رسول الله ﷺ على رأسه**)) [٢].

رواه الإمام أحمد.

قال رسول الله ﷺ : ((**يبعث الناس حفاة عراة غرلاء قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ وهى راوية الحديث قلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال: شغل الناس عن ذلك**[٣] ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٧].

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى: (٦٥٣٢) ، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) صحيح : أخرجه أحمد فى المسند (٣٢٧/٢).

(٣) صحيح: رواه النسائى (١١٤/١) ، وأحمد (٨٩/٦).



رواه الثعلبى والبغوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها وهى القائلة : واسوتاه ، ورواه الطبرانى فى معجمه الأوسط من حديث أم سلمة رضى الله عنها وهى القائلة : واسوأتاه.

ثم يشتد الأمر حتى أن منهم من ينادى رب ارحمنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل هذا ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً وإنما ذلك من شدة ذلك اليوم وطوله.

قال الحسن : ما ظنك بقوم يقومون على أقدامهم خمسين ألف سنة لا يأكلون أكلة ولا يشربون شربة حتى تنقطع أعناقهم عطشاً وتحترق أجوافهم جوعاً .

وقال عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنهما: تلا رسول الله ﷺ الآية ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المطففين : ٦] ثم قال : «**كيف بكم إذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النيل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم**» [١].

رواه الطبرانى فى معجمه الكبير.

فـتفكرى يا مسكينة فى طول ذلك اليوم وشدة أهواله وطول الانتظار حتى يخـف عليك الصبر عن الشهوات والمعاصى فى عمرك القصير المحتقر بالنسـبة إلى ذلك اليوم يوم يغضب فيه الرب غضباً لن يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمـل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله

---

(١) حسن : رواه الطبرانى فى الكبير (٣٢٢/٨) وله شاهد فى البخارى فى تفسير سورة المطففين (٦٩٣٨).

شديد يوم يؤخذ فيه بالنواص والأقدام ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [البقرة :١٢٣].

﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ** ﴾ [عبس:٣٤] يوم الحسرة يوم الخزى يوم المحاسبة قال الله تعالى:

﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ** ﴾ [الحجر: ٩٢].

يوم العدل : قال رسول الله ﷺ : «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. (١)

﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ [الروم: ٥٧].

فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل إلينا سيد الأولين والآخرين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين فنتلوه بألسنتنا ونحن عنه غافلون فنعوذ بالله من هذه الغفلة التى عاقبتها هذه الأهوال والحسرة.

فبينما هو فى هذه الأهوال: إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد قد أمرو بأخذ النواصى إلى العرض على الجبار وقد رأوا مات من غضب الجبار وعند نزولهم لا يبقى صالح ولا صديق ولانبى إلا ويخر لذقنه خوفاً من أن يكون هو المأخوذ.

فإذا كان هذا حال المقربين فكيف حال المقصرين. فيبدأ بالرسل فيقول الله تعالى: ماذا أجبتم فيقولون : لا علم لنا فياشدة هول يوم يذهل فيه عقول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢).

الرسل حتى لا يروون ماذا يجيبون ثم تقبل الملائكة فينادون واحداً واحداً باسمه هلم إلى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح و العقول حتى يتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار.

ولاتعرض قبائح اعمالهم على الجبار، و لا تكشف استارهم على الخلائق، ويظن كل واحد أنه المقصود دون غيره فيقول الجبار لجبريل عليه الصلاة والسلام : ائتنى بالنار فيقول لها جبريل : اجيبى الجبار، و يصادفها علي غيظها وغضبها فلا تلبث بعد تدانها ان تثور و ترمز إلى الخلائق فيسمع الخلاق تغيظها و نفيرها وزفيرها إلى الخلائق غصابها علي العصاة فتمتلىء قلوب الخلائق رعبا و يتساقطون على ركبهم و ترى كل أمه جاثيه كل أمه تدعى إلى كتابها اليوم تجزونها ما كنتم تعملون.

وينادى الظلمة وأعوانهم وهم تحت أرجل الخلق بالويل والثبور جزاء لهم من قبح ما صنعهم بالخلق في الدنيا و ينادى الصديقون كل منهم:

نفسي نفسي فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرة ثانيه فيتضاعف خوفهم ويظنون أنهم مأخوذون ثم تزفر الثالثة فيتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفي وتنهضم عند ذلك قلوب الظالمين فيبلغ لدى الحناجر كاظمين ما لهم من ولى و لا حميم ثم يسال كل واحد واحد ربه شفاهًا عن قليل عمله، وكثير، وعن سره، وعلانيته وعن جميع جوارحه و ضمائره، فيقول ألم انعم عليك بالشباب ففيم هذا أبليته ألم امهل لك في العمر ففيما افنيته؟! ألم أرزقك الأموال فمن أين اكتسبتها وفيماذا أفنيتها ألم أعلمك العلم فماذا عملت فيه؟.

قال رسول الله ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه**» (١).

رواه الترمذى من حديث برزة رضى الله عنه و قال: حديث حسن صحيح.

وقال رسول الله ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى الا قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ومن بين يديه فلايري إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة**» (٢).

رواه البخاري ومسلم من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه.

ويقول له سبحانه و تعالى : أما استحيت منى تبارزنى بالقبيع وتستحى من خلقى؟! أكنت أهون عليك من عبادى؟! أستخففت بنظرى إليك؟! واستعظمت نظر غيرى؟! أظننت أنك لا تلقانى؟! ألم أرسل إليك رسول يتلوا عليك كتابى ؟! ومن يقدر على هذا الخطاب فما أعظم مصيبة من فرط في الطاعة مولاه واتبع هواه، ثم لاتغفلى عن الميزان، وتطاير الصحف، وحول الميزان ملائكة عليهم ثياب من نار، وبأيديهم مقاطع من حديد قال الله تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾

---

(١) حسن : أخرجه الترمذى (٢٤١٧/٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٩/٤) (٧٤٤٣) ، (٦٧١).



[الأنبياء: ٤٧] فمن رجحت سيئاته أخذت الذبانية بناصيته واهوى بها فى النار قال الله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه** ﴾ [القارعة : ٨].

الميـــزان أمره خطره و لا ينجو من خطره إلا من حاسب نفسه فى هذه، الضرارة الغرارة ووزن أقوال واعماله وخطواته في جميع لحظاته بميزان الشـــرع، وإن كان إقترف ذنوبا تداركها بالتوبه النصوح التى أمر الله عز وجـــل بها المؤمنين فى كتابه العزيز، فيرد المظالم ذرة ذرة فإذا مات قبل رد المظـــالم أحـــاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا بعضده وكل واحد متعـــلق به، ويذكر مظلمته، فيقول: هذا شتمنى، ويقول الآخر: هذا خذلنى ويقول الآخر : أساء معاملتى و يقول الآخر هذا أساء جوارى، ويقول هذا نظـــر إلى فارعبنى و يقول الاخر : طفف على المكيال و الميزان و يقول الاخـــر هـــذا غش في صنعه، وتذكر كل ما ظلم فيه حتى سكوتهن نظرته ولو بكلمه وهذا يقول : وجدنى محتاجًا فلم يسد حاجتى، إلى غير ذلك، مما لا يكـــاد ينحصـــر فبيـــنما أنت مبهوت متحير من كثرتهم وقد حقت عليك الطلبة، وضعفت عن المقاومة مدورعين الرجاء إلى مولاك إذا فرغ سمعك نـــداء الجـــبار ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [غافر :١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك وتوقن بالبوار، وتتذكر قوله تعـــالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾ [المدثر: ٣٨] ثم بعد هذه الأحوال لاتنســـى الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيفظ، وأدق من الشعر.

قال رسول الله ﷺ: ((**يضرب الصراط على ظهرانى جهنم فاكون أول من يخير بأمتى من الرسل، ولايتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسول يومئذ رب سلم رب سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا قدرها إلا الله عزوجل تخطف الناس بأعمالهم منهم من ينجو، ومنهم من بخردل ثم ينجو**)) [١].

رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

فالحذر الحذر من هذا الصراط وماعليه، من أراد النجاة فليستقم فى الدنيا على الصراط المحمدى، ومن عدل عنه وركب غير الطريق، وعدل عن الاستقامة فى الدنيا، وأثقل الظهر بالأوزار بأول قدم فلو لم يكن فى الآخرة من الأهوال إلا خطر الصراط لكان جديراً بان يهم الشخص له ومع هذا كله لاتأمن من طردك من الحوص وسحبك الى نار فيها سبعون الف واد وكل واد سبعون الف شعب، وكل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب .

رواه بعض الأئمة حديثًا.

عفانا الله عز وجل وإياكم من جميع الأهوال انه على مايشاء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الاولين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، ورضى الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥١٦٢) ومسلم (٣١٢/٤) ، وقال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة.

نجزت هذه النسخة من خط المؤلف الشيخ تقى الدين الحصنى أعاد علينا من بركاته فى نهار الأحد ثالث شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وخمس وثمانمائة على يد العبد الفقير الى الله [.......]على الحموى عفا الله عنهما.



الفهـرس